

محاضرات الماجستير

د . شمال حسين

العلاقات الدولية

مادة الامن الدولي وتحدي السياسات الانفرادية

السياسات الانفرادية للقوى العظمى

الانفرادية في السياسة العالمية:

الانفرادية الدولية تعني كل الافعال والنشاطات الخارجية للوحدات الدولية والتي لا تولي أي حساب واهتمام للقيم والاخلاقيات والمواثيق الدولية القائمة، وهي بالعادة تعتبر خروجاً عن المألوف في السياسة الدولية وفي اطار العلاقات المتبادلة بين الدول، فحتى التاريخ القديم للعلاقات الدولية شهدت مراحل واتفاقيات ومعاهدات جسدت نوعاً من مقاربات تعاونية – جماعية دولية ، املاً من تلك الوحدات لتجنب الحروب والمواجهات العسكرية.

ولكن تغيرت السياسة العالمية بشكل اساسي خلال العقد الماضي وذلك وفق ثلاث مبادئ استراتيجية مرتبطة بالقوى الدولية، الاولى هي انها قد اعيد ترتيبها بشكل جوهري على وفق الخطوط الثقافية والحضارية، والثانية هي ان السياسة العالمية تتمحور دائماً حول القوة والصراع من اجلها، اما الثالثة هي ان العلاقات الدولية الراهنة تتغير وفق البعد الثقافي والاقتصادي. وكان الهيكل النظام العالمي للقوة ابان الحرب الباردة يقوم على القطبية الثنائية اما الهيكل الناشئ بعد الحرب الباردة فكان ذات طبيعة وحدانية امريكية بامتياز .

اما النظام الدولي الراهن حالياً، فانه مختلف تماماً فهناك الآن قوة عظمى رئيسية (الولايات المتحدة الامريكية)، لكن هذا لا يعني ان العالم احادي القطب، فالنظام الاحادي القطب يضم قوة عظمى واحدة ولا توجد فيه قوى كبرى مهمة والعديد من القوى الصغيرة، ونتيجة لذلك يمكن للقوة العظمى ان تحل وبشكل فعال قضايا دولية مهمة وحدها، ولاتستطيع مجموعة من الدول الاخرى ان تمنعها من ذلك. وقد اقترب العالم القديم من هذا الوصف لعدة قرون تحت سيطرة روما، كما اقترب

شرق اسيا من ذلك لبعض الوقت تحت السيطرة الصينية. وهكذا كان خلال مرحلة ما بعد تفكك الاتحاد السوفيتي. الا ان الامر يختلف كل الاختلاف في السياسة الدولية الراهنة بحيث ان بنيان ما يسمى بالنظام الدولي في طورها الانتقالي، فلم تعد اعمدة الاحادية القطبية قائمة بفعل العديد من الضغوطات من جانب القوى العالمية المناهضة للقطب الامريكي.

على ذلك فان الواقع الدولي الراهن تجسد سياسات انفرادية وخاصة من طرف القوى العظمى الجديدة اكثر من تجسيدها نظام تعاوني دولي، الامر الذي انصرف الى اننا نشهد سياسات انفرادية دولية سواء تعلق الامر بامريكا او روسيا او الصين. فالولايات المتحدة جسدت هذه السياسة في اكثر من مناسبة دولية بدءاً من الانسحاب من الاتفاقيات الدولية وخرق القانون الدولي الى التحرك خارج نظام الامم المتحدة. وما يتعلق بروسيا وتجلي دورها الجديد على مسرح السياسة العالمية فان حضورها الانفرادي ايضا تمثل على واقع العلاقات الدولية بداية من حرب جورجيا عام 2008 وايضاً ضمها شبه جزيرة القرم في 2013 وكذلك تدخلاتها العسكرية في سوريا في عام 2015. اما ما يتعلق بالصين فانه ايضاً لم يسلم من تبني سياسات انفرادية في العلاقات الدولية والتحرك باتجاه قضايا شرق الاوسط واثبات حضورها السياسي والاقتصادي. وايضا اختارت بريطانيا التوجة الانفرادي في السياسة العالمية عندما قررت الخروج من الاتحاد الاوربي. وفي هذا السياق ايضا تبرز دور قوى دولية اقل قوة من القوى العظمى خاصة في المعادلة السياسية والامنية الشرق الاوسطية. كل ذلك يرجع باذهاننا الى تصور السياسة الدولية وفق معايير مرحلة القرون الوسطى، وخاصة في المرحلة الراهنة من السياسة الدولية فالخاصية الجوهرية هي السياسة الاحادية للدول والانكماش السياسي الخارجي والابتعاد عن التحرك وفق معايير التنظيم الدولي وتحديدات وفق اليات وميكانيزمات القانون الدولي المتجسد في ميثاق ومبادئ الامم المتحدة .

واستنادا لكل ذلك فان النظام الدولي في مرحلته الراهنة تعاني من اختناق وازمة حقيقية، فهو في طور الانتقال من جهة، على اعتبار اننا نشهد نهاية مرنة للاحادية القطبية، وان العالم تعاني ايضاً ازمة واشكالية في تشكيل نمط اخر من النظام الدولي من جهة اخرى.

اولاً / الانفرادية الامريكية

الجذور التاريخية للسياسات الانفرادية الامريكية

إن كتاب المؤرخ الأمريكي أرثر شليزنجر (الحرب و الرئاسة الأمريكية) هو مجموعة انعكاسات تاريخية تفند بمهارة كبيرة الأسس السياسية والفكرية للسياسة الخارجية للرئيس الأمريكي الحالي جورج بوش.

يبدأ المؤرخ الأمريكي كتابه بتتبع الجذور التاريخية لتوجه الإدارة الأمريكية نحو المضي قدما في تنفيذ أهدافها بمفردها وبمعزل عن المجتمع الدولي مشيراً إلى أنه على مدار (الجزء الأكبر من تاريخ

الولايات المتحدة كانت هذه الدولة تعتمد مبدأ الانفرادية في العلاقات الخارجية وبقدر كبير من العناد). وقد اتخذ من نموذج المشاركة الأمريكية في الحرب العالمية الثانية نمودجا لتأكيد ما يقوله. فقد احتاج الرئيس الأمريكي في ذلك الوقت فرانكلين روزفلت إلى شن حملة دبلوماسية عامة من أجل إقناع الشعب الأمريكي بضرورة مساندة الحلفاء في الحرب وبالسمة المركزية للقيادة الدولية. وهذه السمة التي ميزت العلاقات الأمريكية بالفعل خلال سنوات الحرب الباردة عندما كانت واشنطن تتحرك بين ومع حلفائها باعتبارها مركز القيادة الدولية وهو ما لم يتحقق مع إدارة الرئيس بوش. ويؤكد شليزنجر على أنه (لا شك مطلقاً في القوة الدافعة التي تتمتع بها عملية إحياء النزعة الانفرادية في السياسة الخارجية الأمريكية). ويؤكد أيضاً أن تلك النزعة استمدت المزيد من الطاقة من خلال انفراد الولايات المتحدة بالتفوق العسكري على مختلف دول العالم بعد انتهاء الحرب الباردة. وتجلت هذه النزعة بأوضح صورها في مبدأ الحرب الاستباقية التي تبنتها الولايات المتحدة بما يتيح لها شن الحرب ضد أي دولة أو منظمة ترى أنها تمثل خطراً محتملاً عليها.

ولكن شليزنجر يحذر في كتابه (الحرب ومؤسسة الرئاسة الأمريكية) من أن القوة العسكرية لا يمكن أن تكون بديلاً عن الأصدقاء أو الحلفاء. كما أنها ليست بديلاً عن الحكمة المطلوبة. ولكنها للأسف تحفز على الاستكبار. والاستكبار يقود في النهاية إلى الهزيمة.

ويؤكد الكاتب الأمريكي أن القوة العسكرية لا يمكن أن تكون بديلاً عن الحكمة وأنها لا تستطيع تحقيق سوى أهداف محدودة للغاية مهما كانت تفوق هذه القوة العسكرية. وقد خرج علينا الرئيس بوش ليقالب مبدأ (السلام من خلال منع الحرب) ليجعله (السلام من خلال الحرب الوقائية) وهو انقلاب جذري ينطوي على مخاطرة كبرى. والحقيقة أنه (لا يمكن أن تمنع أي شيء بالحرب إلا السلام). وحتى إذا سلمنا بمنطقية الحرب الوقائية فيجب أن نؤكد على أهمية استناد هذه الحرب على معلومات مخبرانية دقيقة وعمل مراجعة لكل دروس التاريخ من أجل الخروج منها بأفضل صيغة ممكنة تضمن لنا السيطرة على الموقف بعد الحرب حتى لا تتحول إلى حريق لا يمكن السيطرة عليه وتصبح المخاطر الناجمة عنها أشد من المخاطر التي شنت الحرب لإجهاضها. ويطالب الكاتب بضرورة الرقابة المستمرة لمعرفة كل ما يمكن أن ينطوي عليه طغيان القوة والخطورة من مخاطر في المستقبل. وقد كان الرئيس الأمريكي الأسبق ريتشارد نيكسون آخر (الرؤساء الأباطرة) قبل جورج بوش حيث تمكن من اختطاف السياسة الخارجية الأمريكية بعيداً عن أي رقابة من جانب الكونجرس وتمكن من الإخلال بموازن القوى بين السلطة التنفيذية والسلطة التشريعية. وعندما جاء أسامة بن لادن بهجمات الحادي عشر من سبتمبر فتح الباب أمام الرئيس جورج بوش ليدخل بنا مرة أخرى عصر (الرئاسة الإمبراطورية). ومع بوش جاء وزير عدله جون أشكروفت وقانون مكافحة الإرهاب الجديد ليفرض على الحريات المدنية للأمريكيين قيوداً صارمة ويطلق يد السلطة التنفيذية بعيداً عن رقابة السلطتين التشريعية والقضائية بدعوى محاربة الإرهاب. وإذا كان النقاد يقولون إن نجاح أي كتاب يرتبط بعدد الأسئلة التي يمكن أن يثيرها في ذهن قارئه حول موضوعه فإن كتاب (الحرب والرئاسة الأمريكية)

حقق قدرا لا بأس به من النجاح لأنه بالفعل أثار العديد من الأسئلة ودفع إلى التفكير في العديد من المشكلات.

على سبيل المثال إذا كانت الحرب هي التي تجسد طبيعة الرئاسة الإمبراطورية ومن المؤكد أن الأحداث بعد هجمات الحادي عشر من سبتمبر جعلت الرأي العام أكثر اضطرابا وأكثر رغبة في السير وراء قاداته فهل الشعب الديموقراطي يواجه التزاما أخلاقيا لوقف المعارضة في زمن الحرب؟ وهل هذا هو النموذج الذي قدمه لنا الأجداد فيما مضى؟ وبالنسبة لشعب كالشعب الأمريكي قام على أكتاف المنشقين الأوروبيين الذين غادروا أوروبا إلى العالم الجديد في الأمريكتين ما هي طبيعة الوطنية.

التوجهات الانفرادية في السياسة الخارجية الأمريكية في ظل رئاسة دونالد ترامب

تمهيد:

يعد الرئيس في الولايات المتحدة الأمريكية اللاعب الرئيسي في السياسة الخارجية، وهو المسؤول الأول عن إدارة وتنفيذ الشؤون الخارجية لبلاده. صحيح أن الولايات المتحدة الأمريكية دولة مؤسسات، غير أن شخصية الرئيس تؤثر بشكل كبير في عمل هذه المؤسسات، ذلك لأن تلك المؤسسات لا تمتلك أجندة سياسية بذاتها، وإنما يتم استخدامها لتنفيذ الأجندة السياسية للرئيس الأمريكي¹، (أجندة الحرية والديمقراطية للرئيس جورج دبليو بوش أبرز دليل على ذلك، حينما استخدمت المؤسسات الأمريكية لتنفيذ الأجندة التي يحملها المحافظون الجدد في السياسة الخارجية الأمريكية). فالرئيس الأمريكي الفائز بالانتخابات يأتي بفريقه واتباعه على المستوى السياسي في كل المؤسسات وذلك لضمان حالة الانسجام على مستوى القرارات والتنفيذ، وفي ضوء الصلاحيات الحقيقية التي يمتلكها الرئيس في الولايات المتحدة الأمريكية هو قادر إذا ما أراد أن يحقق أجندته السياسية، وأن كانت تخالف السياق العام لما اعتادت عليه هذه المؤسسات². وتمثل توجهات الرئيس باراك

¹ علي حسين باكير، أجندة ترامب للشرق الأوسط: الفرص والتحديات، عربي 21، 12 نوفمبر 2016، ينظر الرابط الآتي:
<http://arabi21.com/story/959897/>

² المصدر نفسه.

أوباما أبرز دليل على ذلك، التي تجاوزت قواعد اللعبة في واشنطن في الكثير من المواقف السياسية، لاسيما في الأزمة السورية (حالة الضربة العسكرية) والأزمة الأوكرانية (حالة ضم روسيا لشبه جزيرة القرم). لذلك، تتأثر علمية صنع وتنفيذ السياسة الخارجية الأمريكية بشخصية الرئيس ومقدرته، وعقيدته السياسية، وطريق تفكيره في أي مرحلة من مراحل إدارته للبيت الأبيض، ولاسيما في الوقت الحاضر الذي يشهد ارتفاعاً ملحوظاً نحو نموذج الدبلوماسية السياسية (دبلوماسية القادة والرؤساء) أي دخول القادة بشكل مباشر في عملية تنفيذ السياسة الخارجية، وعليه تعكس السياسة الخارجية الأمريكية لمسارات الرئيس الشخصية وتوجهاته في التعامل مع تفاصيل تلك السياسة³.

وينسحب ذلك الأمر على الرئيس دونالد ترامب، وما أظهره من مواقف خلال حملته الانتخابية، والجدل المثار حول خطابته وتوجهاته في السياسة الخارجية⁴، فمنذ تسلمه مقاليد الحكم ظهرت العددي من الأسئلة حول شخصية ترامب المثيرة للجدل في الأوساط العالمية، من قبيل ما هي السمات الشخصية الذي يتصف بها ترامب؟ وكيف يفكر؟ وما هي عقيدته السياسية؟ ، وكيف يدرك العملية التفاوضية؟ وما هو نمط إدارته لعملية صنع القرار؟، وكيف سيكون نمط قيادته للولايات المتحدة الأمريكية؟ وما هي وجهاته في السياسة الخارجية؟ وكيف ستعكس تلك التوجهات على استراتيجيته للشؤون الخارجية.

أولاً: سمات شخصية الرئيس دونالد ترامب

³ صباح عبدالرزاق كبة، سياسة الرئيس الأمريكي باراك أوباما الخارجية تجاه العراق، ط1، (بغداد: مطبعة شركة الأحمدية للطباعة الفنية، 2015)، ص26.

⁴ إن التوجهات السياسية التي بينها الرئيس دونالد ترامب خلال السباق الانتخابي لا تخلو من دلالات موضوعية، والكثير منها كانت ناجمة عن قناعات راسخة طرحت بوسائل الاعلام الأمريكية قبل توليه منصب الرئاسة بعقود، فقبل ثلاثة عقود كان رجل الأعمال دونالد ترامب يفاجئ النخبة الأمريكية بأنفاق عشرات الالاف من الدولارات في إعلانات ملأت الصحف، يدور مضمونها حول بيانه السياسي الشخصي الذي يفيد: ((بأن الدول الذي تغمرها الولايات المتحدة الأمريكية بحمايتها العسكرية-كالسعودية والكويت واليابان وكوريا الجنوبية يجب أن تدفع كثير لقاء تلك الحماية وفيما يخص الاتحاد الأوربي كان ترامب يؤكد: ((أن من يريد مظلة (الأطلسي) عليه أن يدفع فواتيرها)). وسيم ابراهيم، غموض الاستثمارات الخارجية لترامب يستتفر أوروبا عسكرياً، جريدة السفير، العدد 13613، 12 تشرين الثاني 2016، ص6.

على الرغم من تعدد النظريات الخاصة بدراسة الشخصية في مجال العلوم النفسية⁵، إلا أننا سنعمد في هذا المجال على نظرية (العوامل الخمسة الكبرى للشخصية) لدراسات السمات الشخصية لدونالد ترامب؛ لكونها أكثر النماذج وصفا وشمولية للشخصية الإنسانية، وقدرة على تحديد توجهاتها وطبيعتها، وهي تحتوي على مجموعات كبيرة من السمات الشخصية الشائعة للأفراد والتي تبسط بدورها وصف طبيعة الشخصية، وكذلك تسهم في تحسين الفهم العام للشخصية، وتتجلى أهمية هذه النظرية في قدرتها على التنبؤ بسلوك الأفراد، والاهم أنها توفر بناء عام لأبعاد اشخصية (من مقياس العوامل الخمسة) بشكل يتميز بدرجة عالية من الصدقية⁶.

لذلك تعد نظرية العوامل الخمسة الأكثر ملائمة والأكثر انتشاراً في علم نفس الشخصية، كونها مؤلفة من خمسة تجمعات مختلفة لأبرز سمات الشخصية يمثل كل عامل منها تجريداً لمجموعة من السمات المتناغمة، وهذه العوامل هي⁷:

- 1- الانبساطية: يعكس هذا العامل مجموع السمات الشخصية الإيجابية التي تركز على: (الآلفة والمودة، المخالطة الاجتماعية، توكيد الذات، النشاط، الحماس، البحث عن الاثارة)، وتعتبر هذه السمات عن كمية قوة العلاقات والتفاعلات الشخصية والمخالطة الاجتماعية والسيطرة، فالدرجة المرتفعة تدل على أن الأفراد مرتفعي الانبساطية يكونون نشطين، وجاذبون للآخر (يمتلكون الكاريزما)، ويبحثون عن الجماعة، ويسعون نحو السيطرة، بينما تدل الدرجة المنخفضة على الانطواء والهدوء والتحفظ.
- 2- العصابية: يعكس هذا العامل مجموع السمات الانفعالية السلبية مثل: (القلق، الغضب، عدم الاستقرار العاطفي، والعواطف السلبية، الاكتئاب، انخفاض تقدير الذات، الاندفاع). والدرجة المرتفعة

⁵ ينظر: سيمون كلايبه فالادون، نظرية الشخصية، ترجمة علي المصري، ط2، (بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، 1993)، ص 11 ما بعدها.

⁶ نضال عبداللطيف الشمالي، لعوامل الخمسة للشخصية وعلاقتها بالاكتئاب لدى المرشحي المترددين على مركز غزة المجتمعي-برنامج غزة للصحة النفسية، رسالة ماجستير غير منشورة، (غزة: كلية التربية، الجامعة الإسلامية، 2015)، ص33.

⁷ السيد محمد أبو هاشم، المكونات الأساسية للشخصية في نموذج كل من كاتل وأيزيك وجولديريج لدى طلاب الجامعة (دراسة عاملية)، مجلة كلية التربية، العدد 70، (الرياض: كلية التربية، جامعة الملك سعود، أبريل، 2007)، ص224-225.

تدل على أن الأفراد يتميزون بالعصابية فهم أكثر عرضة لعجم الأمان، والأحزان، بينما تدل الدرجة المنخفضة على أن الأفراد يتميزون بالاستقرار الانفعالي، وأكثر مرونة، وأقل عرضة للأحزان وعدم الأمان.

3- يقظة الضمير أو الضمير الحي: يعكس هذا العامل مجموع السمات الشخصية التي تركز على: (المثابرة، والتنظيم، والانضباط، والالتزام في الواجبات) لتحقيق الأهداف المرجوة، فالدرجة المرتفعة تدل على أن الفرد منظم ويؤدي واجباته باستمرار وبإخلاص، بينما الدرجة المنخفضة تدل على أن الفرد أقل حذراً وأقل تركيزاً أثناء أدائه للمهام المختلفة.

4- الطيبة أو المقبولة: يعكس هذا العامل مجموع السمات الشخصية التي تركز على نوعية العلاقات (البين شخصية) مثل: (التعاطف، والدفء، والرعاية للآخرين، والإيثار، والرحمة، والتواضع)، فالدرجة المرتفعة تدل على أن الأفراد يكونون أهل ثقة، ويتميزون بالود والتعاون والإيثار والتعاطف والتواضع، ويحترمون مشاعر وعادات الآخرين، بينما تدل الدرجة المنخفضة على العدوانية وعدم التعاون.

5- الانفتاح على الخبرة: يعكس هذا العامل مجموع السمات الشخصية التي تركز على: (الفضول، الخيال، الابتكار التقبل للأفكار الجديدة، الانفتاح على مشاعر الآخرين وقيمهم)، ويعبر هذا العامل عن النضج العقلي والاهتمام بالثقافة، والدرجة المرتفعة تدل على أن الأفراد خياليون، ابتكاريون، يبحثون عن المعلومات بأنفسهم، بينما تدل الدرجة المنخفضة على أن الأفراد يولون اهتماماً أقل بالفن، وأنهم عمليون في الطبيعة.

وبحسب هذه العوامل الخمس، صنف بعض علماء النفس الأمريكيين الرؤساء السابقين للولايات المتحدة الأمريكية، فوجدت أن جورج دبليو بوش ترتفع لديه بعض السمات الانبساطية وتنخفض عنده سمات الانفتاح على الخبرة، فهو متحمس للغاية ويعمل من دون تحفظ أو قيود، ولكن من جهة أخرى هو غير مبالٍ

وجامد فكرياً. أما باراك أوباما فوجدوه انطوائياً نسبياً، تنخفض لديه السمات العصابية لدرجة كبيرة، وترتفع سمات الطيبة والمقبولية، فهو عاطفي وهادئ، ومتواضع⁸.

ويقدر تعلق الأمر بدونالد ترامب، يمكن القول: عند وضع شخصية ترامب على مقياس العوامل الخمس سنلاحظ: ارتفاع السمات الانبساطية مقابل انخفاض سمات الطيبة أو المقبولية، وهو أمر قد يتفق عليه الكثير من الباحثين الذين يراقبون تصرفاته الشخصية⁹.

فلعلنا لا نجانب الصواب إذا قلنا: أن ترامب يؤدي دوره السياسي والاجتماعي من دون تحفظ أي بطريقة غير مقيدة، متحمساً ومنذفعاً، يتصف بقوة العلاقات والتفاعلات الشخصية والكخالطة الاجتماعية والسيطرة، وترتفع لديه الهيمنة الكاريزمية (القائد الذي يظن نفسه مدعواً لتأدية مهمة) لهذا فهو شخصية واثقة في القدرة على قيادة الآخري على نحو فعال¹⁰، يمجّد القوة والسيطرة، حتى إن هناك من يرى: ((أن ترشح ترامب للرئاسة الأمريكية تتجاوز مسألة البحث عن الثروة؛ بل للرغبة في الحصول على السلطة والنفوذ))، ويفسر الباحثين في علم النفس أن رغبة ترامب شديدة في الحصول على السلطة هي من أبرز السمات التي تؤكد على شخصيته النرجسية¹¹. ويشير مفهوم النرجسية الى التصور المفرط للذات (عشق الذات) مع الصفات الملازمة للعظمة، والشعر بالاستحقاق والأهمية والتعالي والغرور، والنرجسي عادة ما يعتقد بانه من أفضل الاشخاص المحيطين به، ويسعى نحو غاية لفت الانتباه الشديد الى نفسه، ويتجه نحو تعظيم مصالحه الخاصة (الأنانية)، وهدفه في الحياة هو تعزيز عظمة النفس. وهذا ما يمكن ملاحظته في شخصية ترامب حتى قبل أن يرشح للانتخابات في سعيه نحو الشهرة وتحقيق الثروة، والصعود ولفت الانتباه، من اجل تحقيق

⁸ Dan P. Mcadams, The Mind of Donald Trump, The Atlantic, June 2016. At: <http://www.theatlantic.com/magazine/archive/2016/6/the-mind-of-danald-trump/480771/>

⁹ Ibid.

¹⁰ Aubrey Immelman, The Political Personality of 2016 Republican Presidential Nominee Donald j. Trump, Working Paer No. 1. 1, (New York: Unit for the Study of Personality in Politics, Johns University and the College of St. Benedict, October 2016), p. 1.

¹¹ نقلاً عن: صبرين زهو، كيف حللت صحيفة روسية شخصية دونالد ترامب؟، عربي 21، 28 تشرين الثاني، 2016. ينظر

الرابط الاتي:

<http://arabia21.com/story/963440/>

التسيد الاجتماعي¹². وعلى ما يبدو أن نرجسية ترامب اكتسب حتى خطابته وشعاراته الانتخابية، فكثيراً ما كان يكرر في خطاباته جملة (أمريكا العظيمة)، وحينما يتحدث يقول: (أنا وبلادي...) في حين كان شعار (مصلحة أمريكا أولاً) من أبرز شعارته في الحملة الانتخابية، للإشارة الى سعيه في تعشم المصالح الخاصة للولايات المتحدة الأمريكية بعيداً عن مصالح الدول الأخرى.

وفي الواقع يكاد يكون من المستحيل الحديث عن ترامب من دون استخدام كلمة النرجسية، فترامب ينزع نحو (تضخيم الذات) الى درجة العظمة، وترى هانا هوب المتخصصة في علم النفس ودراسة الشخصيات السياسية في جامعة سانت جون الأمريكية: ((إن ترامب يرى نفسه بأنه رجل لطيف ومحبوب من الجميع، وتقوده الأحلام النرجسية للمجد، فهو يعتقد: أنه من المحتمل أن يكون واحداً من أعظم الرؤساء في تاريخ الولايات المتحدة الأمريكية))¹³.

يذكر في هذا الصدد الدكتور قاسم حسين صالح، رئيس الجمعية النفسية العراقية، أن الغريب في شخصية (الأنا المتضخم) أنها تجمع صفات ثلاث شخصيات مختلفة هي: النرجسية والتسلطية والاحتوائية، فهي تأخذ من الشخصية النرجسية حاجتها القسرية الى الإعجاب، أي أنها شخصية تريد من الآخرين الإعجاب بالصورة التي هي تريدها، وتأخذ منها أيضاً شعار النرجسي: (أنا مميز)، وخاصيتها الأساسية المتمثلة في الإحساس بتفخيم أهمية الذات، والتظاهر بامتلاك قدرات فريدة. في حين تأخذ من الشخصية التسلطية انفعالاتها الغاضبة وأندفاعيتها، وتصيفها الناس (بالتنائيات المتقابلة)، أي ثنائية الأصدقاء مقابل الأعداء. ومع ذلك فهي تأخذ من الشخصية الاحتوائية السعي نحو السيطرة على الآخرين، واحتواء وجودهم المعنوي وأفكارهم، سواء كان ذلك بالإبهار (الجدب) أو بأساليب درامية، أو التوائية خداعية¹⁴.

¹² Hannah Hoppe, Trump Driven by Narcissistic Dreams of Glory, St. Cloud Times, Unit for the Study of Personality in Politics, August 9, 2015. <http://personality-politics.org/trump-dreivin-by-narcissistic-dreams-of-glory>

¹³ Hannah Hoppe, Trump Driven by Narcissistic Dreams of Glory.

¹⁴ قاسم حسين صالح، خصائص شخصية ترامب ومخاطرها على العالم وأميركا (تحليل سيكولوجي)، صحيفة صوت المثقف العراقي الإلكترونية، 20 تشرين الثاني 2016. ينظر الرابط الاتي: <http://iqhere.blogspot.com/2016/11/blog-post-98.html>

فضلاً عن تلك السمات يعد ترامب نشطاً الى درجة كبرى وفي حركة دائمة، فهو يذكر في هذا الصدد أنه قليل لنوم جداً، ويقول: ((إنه ينام من ثلاث الى أربع ساعات في اليوم وذلك لكي يكون له متسع من الوقت ليفكر بما يحاك ضده)) فهو يعتقد أن النوم دليل ضعف، ويعتبر أن اليقظة هي ميزة تنافسية، فقد حاجج قراءه في العام 2004، بكتابه الموسوم (فكر مثل ملياردير): لدى أصدقاء يرغبون في النجاح وهو ينامون عشر ساعات يومياً، وأنا أسألهم كيف يمكنكم التنافس ضد أناس مثلي، إذا كانوا ينامون سوى أربع ساعات فقط¹⁵.

ومع ذلك تتسم شخصية ترامب بالبحث عن الإثارة، فعندما سئل في العام 1987، عما إذا كان يود أن يعين رئيساً للولايات المتحدة الأمريكية، بدلاً من الاضطرار للشرح لهذا المنصب، أجاب ترامب: ((أنها (أي السباق الرئاسي) مطارة، وأنا أودها كذلك))¹⁶.

ولكن مقابل ارتفاع السمات الانبساطية في شخصية ترامب، تنخفض لديه سمات الطيبة أو المقبولية الى درجة كبيرة، فهو يتصف بأنه: قاسي القلب، فظ، متعجرف، ويفتقر الى التعاطف مع الآخرين، ومن المعروف أ، الأفراد الذي تنخفض لديهم سمات الطيبة أو المقبولية، يتميزون بالعدوانية وعدم التعاون¹⁷.

صحيح أن ميول ترامب نحو العدوانية كانت واضحة في حياته منذ الصغر - فقد لكم في الصف الثاني الابتدائي مدرس الموسيقى مخلفاً كدمة في عينه، تعبيراً عن غضبه - ولكن يمكن أن نلاحظ العقلية العدوانية عندما يشن ترامب هجوماً شخصياً على منافسه بكلمات: خاسر، غبي، أحمق، وهو ما برز بشكل واضح خلال حملته الانتخابية. فعدوانية ترامب تكمن في قلب الكاريزما الذي يتمتع بها، وكثيراً ما تتخلل في اغلب خطابته السياسية، فهو يعتقد: ((إذا كنت وحشاً تكون صعباً))¹⁸.

¹⁵ Michael Kruse and Ruairi Arrieta – Kenna, The 7 Oddest Things Donald Trump Thinks, Politico Magazine, October 13, 2016. At: <http://www.politico.com/magazine/story/2016/10/the-7-October-things-donald-trump-thinks-124354>.

¹⁶ Dan P. McAdams, The Mind of Donald Trump, op. cit.

¹⁷ Dan P. McAdams, The Mind of Donald Trump, op. cit.

¹⁸ Ibid.

ومع العدائية تميل شخصية ترامب نحو الهيمنة، وعدم التعاون مع الآخرين، ويعتقد بعض علماء النفس من الذين قاموا بتحليل شخصية ترامب، أنه كفرد يزدهر في البيئات التنافسية (أوقات الحرب) ولا يزدهر أو يتفاعل في البيئات التعاونية (أوقات السلم)، لذلك يسود الاعتقاد بين الخبراء النفسيين أن زيادة خط الإرهاب حول العالم قد ساعد ترامب كثيراً في الفوز بالانتخابات الرئاسية الأمريكية¹⁹.

ثالثاً: دونالد ترامب والجاكسونية: ملامح أولية في العقيدة السياسية

إذا أخذنا في الحسبان المعايير النفسية الخمسة مع مقارنتها مع شخصيات سياسية أخرى حكمت الولايات المتحدة الأمريكية بنزعات نفسية مشابهة، يمكننا القول: إن ترامب قد يشبه إلى حد كبير الرئيس السابع أندرو جاكسون للفترة (1829-1837) الذي اتسم بمعايير نفسية تباينت بين مظاهر النرجسية والعدائية وحب الخطوة الاجتماعية، والعنصرية تجاه قبائل الهنود الحمر²⁰. غير أن أوجه الشبه بين ترامب وجاكسون لا تمتد على الصعيد النفسي فحسب، بل تصل إلى الاقتراب أيضاً من العقيدة الجاكسونية في السياسة الخارجية. فقد ميز ترامب توجهاته السياسية خلال السباق الانتخابي بميله نحو المدرسة الواقعية، والسير بحذر نحو التدخل الخارجي، وعن طريق استطلاع آراءه في السياسة الخارجية، يمكن الاستشفاق: بأنه قريب جداً من التقليد الجاكسوني في السياسة الخارجية الأمريكية، وهو التقليد الذي يتصف أنصاره بالواقعية من جهة، وشبه الانعزالية من جهة أخرى، والقومية والشعبوية بصورة تامة²¹، وهو الأمر الذي يتصف به ترامب كثيراً، إذا اشتهر تراكم بخطابات شعبية سياسية تلائم شريحة كبيرة من الشعب الأمريكي، حيث خاطب ترامب عواطف الأمريكيين فبسبب ازدياد الفجوة في الدخل والنفوذ بين النخبة والطبقة المتوسطة، حاول ترامب في حملته الانتخابية استثمار تصاعد مشاعر الغضب الشعبي ضد النخبة السياسية والاقتصادية في الولايات

¹⁹ Stacy Liberator, Donald Trumps FACE gives away his leadership style, Gaily Mail, January 2017.

²⁰ Ibid.

²¹ يؤيد هذا الاستنتاج التي توصل إليه الباحث من خلال تحليل خطابات دونالد ترامب، أستاذ السياسة الخارجية الأمريكية والمؤرخ والتر راسيل ميد، الذي صنف ترامب أيضاً ضمن التقليد الجاكسوني في السياسة الخارجية الأمريكية. ينظر:

Max Fisher, What Is Donald Trump's Foreign Policy?, The New York Times, November 11, 2016.

المتحدة الأمريكية، وتوجيهه في إطار التواطؤ بين النخب السياسية والاقتصادية لأحق الضرر بالمصالح الأساسية للطبقة الوسطى، وقدرتها على تحقيق التقدم الاقتصادي والاجتماعي.

في حين يتجسد الموقف شبه الانعزالي عند ترامب من تلك الفكرة القائلة التي تفيد: بأن (المجتمع المحب للخير) هو فقط المجتمع الأمريكي، أما البقية المتبقية من العالم فهم (الرعاع عند البوابة)، وعبر حملاته الانتخابية جسد ترامب فكرة الارتباب من الخارج أو الرعاع عن البوابة من خلال تصويره: أن العالم خارج الولايات المتحدة الأمريكية يتكون بقضه وقضيضه من إرهابيين ومن لاجئين معظمهم أيضاً إرهابيون، للجميل (كل الدول الأوروبية)، بلدان تستغبي الولايات المتحدة الأمريكية إيران وروسيا الاتحادية²². وقد جسد ترامب فكرة (الرعاع عند البوابة) بشكل واضح أيضاً في رؤيته المثيرة للشعبوية، بترحيل المهاجرين غير الشرعيين²³، وقراراته في بناء جدار عازل بين الولايات المتحدة الأمريكية والمكسيك، ومنع اللاجئين المسلمين من الدخول للولايات المتحدة الأمريكية. ويربط البعض من الباحثين بين مواقف ترامب المناهضة للهجرة وبين ما يعانيه من مرض (رهاب القذارة) أو (الخوف من الجراثيم)²⁴، فهو يرى المهاجرين واللاجئين كناقلات محتملة للمرض أو العدوى (الرعاع عن البوابة)، لذلك يشير البعض الى أن خوف من الأمراض المعدية هو جذر مواقفه السياسية المناهضة للمهاجرين²⁵.

²² Aron Lund, Donald Trumps policies on Syria suggest he may favor Assad and has learned little about the country, Carnegie Middle East Center, October 14, 2016.

²³ Jeremy Diamond and Stephan Collinson, Is Donald Trump's Foreign Policy: America first, CXNN, April 27, 2016. at: <http://edition.cnn.com/27/4/2016/politics/donald/trump-foreign-policy-speech/>

²⁴ يعاني ترامب من رهاب القذارة أو الخوف من الجراثيم الى أقصى الحدود، فهو مثلاً غير مستعد للضغط على أزرار المصاعد، بسبب لمسها من قبل الناس، وهو ينفر من عملية مصافحة الأشخاص بالأيدي، ويعدّها واحدة من لعنات المجتمع الأمريكي، وأنها من العادات الرهيبة، وهو يتجنب المصافحة بالأيدي قدر الإمكان، ولكن عندما يضطر يفعلها بطريقة غريبة من خلال سحب يد الشخص بقوة الى ناحية جسده، وذلك لتقليل مدة المصافحة، وهو يعترف بأنه يغسل يديه بدقة بعد كل مصافحة. للمزيد ينظر:

Janet Allon, 7 Disturbing Facts About Donald Trump's Personality, AlterNet, December 21, 2016. At: <http://www.alternet.org/election-2016/7-disturbing-facts-about-donald-trumps-personality>

²⁵ Michael Kruse and Ruairi Arrieta – Kenna, The 7 Oddest Things Donald Trump Thinks, op. cit.

ومثلما لا يحبذ الجاكسونيون نشر الديمقراطية وبناء الأمة في الخارج بوصفها محاولة لإهدار حياة وأموال الأمريكيين ولاعتقادهم بأن الولايات المتحدة الأمريكية ليست كياناً موجهاً نحو تحقيق رسالة عالمية قيمة، يرى ترامب في خطابه الانتخابي حول السياسة الخارجية: ((إن الجهود المبذولة لإعادة تشكيل الشرق الأوسط على نمط الديمقراطيات الغربية هي فكرة خطيرة أسفرت عن إهدار فضيع للكثير من تريليونات الدولارات، والحياة العديد من الأمريكيين))؛ لذلك أعلن ترامب: (إنه ليس مع بناء في الخارج)، منتقداً بذلك المحافظين الجدد الذين وصفهم: ((بأنهم يرددون السياسات الفاشلة نفسها منذ عقود))²⁶.

ومثلما ينطلق الجاكسونيون من نظرة واقعية للسياسة الدولية التي تسودها الفوضى والتهديد، ويرون: أن القوة العسكرية هي وحدها القوة التي يمكن الاعتماد عليها لضمان مصالح الدولة، فإن ترامب يدعم مساعي زيادة القوة العسكرية الأمريكية، ويؤيد خطط زيادة الإنفاق والتحديث والتجديد العسكري، إذ يرى: (أن الهيمنة العسكرية الأمريكية في العالم لا جدال فيها). ولكنه وضح: ((أن القوة العظمى الحقيقية تعرف أن الحذر وضبط النفس ليستا علامات الضعف...، فلدينا القوة، وسوف تستخدم إذا كان الآخرون لا يلعبون وفقاً للقواعد))²⁷. لذلك كله، تعهد ترامب في أكثر خطابه الانتخابية حول السياسة الخارجية بإعادة بناء القوى العسكرية الأمريكية²⁸.

ومثلما لا يعير الجاكسونيون أهمية كبيرة للنزعة العالمية، يعتقدون أن النخبة ذات النزعة العالمية الويلسونية أشبه بالخونة الذين لا يضعون بلدهم ومواطنيهم أولاً. فإن ترامب يفضل النزعة القومية ويرفع شعار (أمريكا أولاً)، ويولي أهمية لبناء الأمة في الداخل، ولا يعير أهمية كبيرة للالتزامات الأمنية الأمريكية في الخارج، إذ يرى: أنها تكلف الولايات المتحدة الأمريكية الكثير من الأموال الباهظة. فهو من أنصار الانخراط المحدود في الخارج، بذلك يبتعد ترامب عن التوجهات الويلسونية في السياسة الخارجية الذي يناصرها المحافظين الجدد في الحزب الجمهوري أو أصحاب التدخل الليبرالي في الحزب الديمقراطي. وقد أعطاه ذلك التوجه شبه

²⁶ Donald J. Trump Foreign policy Speed, April 27, 2016. At: <http://www.donald-jtrump.com/press-releases/donald-j.-trump-foreign-policy-speed>

²⁷ Ibid.

²⁸ America First: Trump lays out foreign policy vision in Washington speech, Russia Today, April 27, 2016. At: <http://www.rt.com/usa/341156-trump-foreign-policy-speech/>

الانعزالي شعبية كبيرة بين أوساط المجتمع الأمريكي من الذين يعتقدون: ((أن الولايات المتحدة الأمريكية تبذل جهوداً مبالغ فيها لإيجاد الحلول للمشاكل خارج حدودها))²⁹. لذلك تشير العقيدة الفكرية للرئيس ترامب بميله نحو الانكفاء على الداخل الأمريكي في محاولة منه لإعادة بناء عناصر القوة الأمريكية وهذا ما جعله يتشبث في شعار (لنجعل أميركا عظيمة مرة أخرى).

ومن الجدير بالذكر في هذا الصدد، أن صعود ترامب الى سدة الرئاسة الأمريكية يمثل نهاية للأحلام المثالية التي هيمنت على مؤسسة الرئاسة الأمريكية منذ انتهاء الحرب الباردة، ويسجل عودة جديدة للمدرسة الواقعية في السياسة الخارجية الأمريكية، باتجاه الابتعاد عن المدرسة الليبرالية بأطروحاتها المثالية والأممية والمؤسسية، وهو على ما يبدو سيكون مؤشر جديد في ديناميكية السلوك السياسي الخارجي الأمريكي، فالرؤساء الأمريكيين منذ عهد الرئيس كلينتون وصولاً للرئيس أوباما تشبثوا بطروحات وإفكار المدرسة الليبرالية، وأصبحت دليلهم في السياسة الخارجية، وهو ما جعل الولايات المتحدة الأمريكية تضع مسألة تغيير الأنظمة وإقامة ونشر الديمقراطية في صميم عملها الخارجي، غير أن الأمر سيختلف مع ترامب الذي تنطلق نظرتة في السياسة الدولية من نظرة واقعية بعيدة عن الأطروحات الفكرية للمدرسة الليبرالية، ولهذا لم يكن مستغرباً تحذير فرانسيس فوكوياما الذي قال: ((إن فترة رئاسة دونالد ترامب للولايات المتحدة الأمريكية ستؤذن بانتهاء العهد الذي كانت فيه الولايات المتحدة الأمريكية تشكل رمزاً للديمقراطية نفسها في أعين الشعوب التي ترزح تحت حكم الأنظمة السلطوية في مختلف أرجاء العالم... وستشكل منعطفاً كبير على الديمقراطية الليبرالية في العالم))³⁰.

والحق أن تخوف فوكوياما من رئاسة ترامب على الولايات المتحدة الأمريكية ينبع من اعتبارات ايديولوجية تتعلق باحتمالية تراجع نفوذ المدرسة الليبرالية على السياسات الأمريكية لصالح المدرسة الواقعية، وهو امر يعني كثيراً، ذلك بأن المدرسة الليبرالية، ومنذ انتهاء الحرب الباردة، وحتى إدارة أوباما هي أكثر تأثيراً في السياسات الأمريكية من المدرسة الواقعية، وعن طريق دراستنا هذه، تأكدنا أن هناك ابتعاد داخل أروقة القرار

²⁹ Aron Lund, Donald Trumps policies, op. cit.

³⁰ Francis Fukuyama, US against the world? Trump's America and the new global order, The Financial Times, November 11, 2016.

الأمريكي عن الأطروحات الفكرية للمدرسة الواقعية لمصلحة الأطروحات الفكرية للمدرسة الليبرالية، وتحديداً تجاه التناوب بين المثالية والأممية الليبرالية؛ لانسجامها مع النزوع نحو الهيمنة، ذلك بأن تصاعد (الهيمنة الليبرالية على الاستراتيجيات الأمريكية)، - بحسب وصف ستيفن والت-، منذ انتهاء الحرب الباردة، أدى الى تراجع تأثير المدرسة الواقعية في السياسات الأمريكية، حتى إن الكثير من الواقعيين يعانون التهميش داخل الأوساط الإعلامية والأكاديمية والسياسية الأمريكية³¹. من هنا يمكن أن نفهم لماذا يتخوف فوكوياما وغيره من الليبراليين من صعود ترامب، الذي من شأنه أن يعلي من تأثير المدرسة الواقعية في السياسات الأمريكية الخارجية، فهو تخوف قيمى ليس مستغرب من مفكر يعتقد إن الديمقراطية الليبرالية تشكل نقطة النهاية في التطور الأيديولوجي للإنسانية، ومن ثم فهي تمثل نهاية التاريخ. وفي الواقع إذا كانت المدرسة الليبرالية تؤيد نشر الأنموذج القيمي الأمريكي، وتصديره الى الخارج وهو ما ينشده فوكوياما والكثير من الليبراليين والمحافظين الجدد، فإن المدرسة الواقعية لا ترى أهمية تذكر في تصدير القيم الأمريكية نحو الخارج، ومن ثم فهي - على خلاف المدرسة الليبرالية - لا تؤيد ولا تحبذ جهود نشر الديمقراطية في الخارج، وهو أمر يحبط آمال المثاليين والأميين الليبراليين.

رابعاً: الواقعية البحثية: أنموذج عملية صنع القرار عند دونالد ترامب

من المعروف في العلوم النفسية أن الأشخاص الذين تنخفض لديهم درجات الطيبة أو المقبولة، ويتصفون بسمات انبساطية مرتفعة، تنخفض لديهم في الوقت نفسه سمات الانفتاح على الخبرة، وتدل الأبحاث أن الأشخاص الذي ترتفع لديهم سمات الانفتاح يميلون نحو المخاطرة، على عكس الأشخاص الذين تنخفض لديهم سمات الانفتاح فإنهم يكونوا عمليون وبراعماتيون وبالتالي هم أقل أيديولوجية³². والسؤال الذي ينبغي أن يطرح في هذا المجال هو: كيف ستتعرض تلك السمات الشخصية على أسلوب ترامب في اتخاذ القرار؟

يعتقد البعض أن ترامب سيكون أكثر مرونة وبراعماتية في عملية اتخاذ القرارات، وسيكون أقل ميلاً لمخاطرة بالولايات المتحدة الأمريكية مقارنة بالرئيس السابق جورج دبليو بوش الذي سعى نحو اتخاذ قرارات جريئة

³¹ Stephan M. Walt, What Would a Realist World Have Looked Like?, Foreign Policy, January 8, 2016.

³² السيد محمد أبو هاشم، المكونات الأساسية للشخصية...، مصدر سبق ذكره، ص 225.

تميل نحو المخاطرة الكبيرة في الخارج. وذلك لأن ترامب يعد اقل أيديولوجية بكثير مقارنة بغيره من المرشحين، وهذا ما لاحظته الكثير من المراقبين السياسيين، وبالتالي هو لا يبحث عن قرارات توفر له مردود عاطفي³³، أي قرارات ذات طبيعة قيمية - وعليه فماذا نفسر قراراته المجردة من أي دافع قيمى بحظر دخول المسلمين واللجئيين الى الولايات المتحدة الأمريكية - صحيح أن ترامب شخصية مندفعة ويصعب التعامل معها، إلا انه يتمتع بالقدرة على تبديل مواقفه بسحب مصالحه، وهو الأمر الذي من شأنه أن يعطيه مجالاً للمناورة في اتخاذ القرار سواء كان ذلك على صعيد السياسة الداخلية أو الخارجية، ففي تقريراً لها حول شخصية الرئيس ترامب تذكر صحيفة (روسكايا فيسنا) الروسية: ((أن ترامب يعد مفاوضاً جيداً، يستمتع بعمله، ويحب المفاوضات، وقادر على مناقشة الصفقات، سواء بشكل خاص، أم أمام الصحافة، وهو غالباً ينجح في ذلك... وهو شخصية قادرة على الإقناع، وعلى شد الأطراف المقابلة))، وفي إشارة الى تبديل موقفه تشير الصحيفة الى: أن ترامب قادر على التخلي عن أقرب مساعديه في حال أفضل خطته، (وفي هذه الحالة؛ يمكن أن ينقلب ترامب الى نقيضه)³⁴.

وعليه في ظل انخفاض سمات الطيبة أو المقبولة (أي شعف التعاطف مع الآخرين) مع انخفاض سمات الانفتاح على الخبرة (أي تصاعد البراغماتية) فمن المتوقع أن يتطابق أسلوب صنع القرار عند الرئيس ترامب مع أسلوب السياسة الواقعية البحتة التي كانت عند الرئيس السابق ريتشارد نيكسون. فترامب كالحالة مع نيكسون لا يميل نحو التعاطف مع الآخرين، ولا يولي أهمية للدوافع الإنسانية، ويتجه نحو المكر والميكافيلية، وعندما يتعلق الأمر بالشؤون الدولية، فإذا كان نيكسون يعقد المزايا عل موازنة المصالح المتنافسة، أو المساومة مع الخصوم كالصين مثلاً، فان ترامب يميل بتحويل كفة المساومة مع روسيا الاتحادية، وذلك لتحبيدها في لعبة الصراع المقبلة مع الصين. ولكن إذا كان نيكسون يتصف بالصعوبة، والواقعية، والعقلانية

³³ Dan P. McAdams, The Mind of Donald Trump, op. cit.

³⁴ نقلاً عن: صبرين زهو، كيف حطت صحيفة روسية شخصية دونالد ترامب؟، عربي 21، 28 تشرين الثاني 2016. ينظر

الرابط الاتي:

<http://arabi21.com/story/963440/>

الهادئة، فان ترامب سيتصف بالصلابة، والبرغماتية الفضة، ولكن على ما يبدو أن العقلانية الهادئة أو الباردة لا تتناسبه كثيراً في ظل تميز شخصيته بالعدائية والغضب³⁵.

خامساً: الطريقة المتشددة: نموذج العملية التفاوضية في مخيلة دونالد ترامب

هناك طريقتين في العملية التفاوضية: الطريقة السلسلة، والطريقة المتشددة، يميل أنموذج المفاوض في الطريقة السلسلة الى تجنب النزاع أو الصراع، ويسعى نحو تقديم العروض والتنازلات، وخلق الثقة مع الطرف الآخر من اجل تجنب المواجهة والوصول الى اتفاق. بينما يميل أنموذج المفاوض في الطريقة المتشددة نحو القوة، ويرى كل موقف على أنه مباراة في الإرادة (أي أنه يعتمد على قوة الإرادة الصلبة)، ويعتقد أن الطرف الذي يفوز في هذه المباراة هو الذي يصمد على المواقف المتشددة أكثر، وهو يرى الطرف الآخر في العملية التفاوضية على أنه عدو بدلا من رؤيته كصديق، وهو لا يقبل بالرضوخ، ويركز على هدف النصر أو الفوز بدلاً من التركيز على ضرورة التوصل الى اتفاق، وعليه فهو ينشد الفوز لا الاتفاق، والجدول (1) يوضح أنموذج المفاوض في الطريقة المتشددة عنه في الطريقة السلسلة³⁶.

جدول (1) أنموذج المفاوض في الطريقة المتشددة والطريقة السلسلة

الطريقة المتشددة	الطريق السلسلة
المشاركون في المفاوضة أعداء	المشاركون في المفاوضة أصدقاء
الهدف من التفاوض هو تحقيق النصر أو الفوز على الطرف الآخر	الهدف من التفاوض هو التوصل الى إتفاق
يطالب بالتنازلات كشرط للمحافظة على العلاقة بين الطرفين	يقدم التنازلات من أجل تعزيز الثقة وتنمية العلاقة بين الطرفين
يكون متشدداً وحازماً ولا يثق بالآخرين	يكون متساهلاً ويثق بالآخرين

³⁵ Dan P. McAdams, The Mind of Donald Trump, op. cit.

³⁶ روجرز فيشير وآخرون، التوصل الى نعم: الاتفاق التفاوضي من دون استسلام، ترجمة لميس الجيبي ومحمود الوزاوي، ط2، (عمان: الأهلية للنشر والتوزيع، 1995)، ص15-25.

يغير موقفه بسهولة	يتزمت بموقفه
يقدم العروض أو الحوافز	يقدم التهديدات
يكشف ما يكنه في أعماقه	يتظاهر بخلاف ما في أعماقه
يقبل بالخسائر من جانب واحد لغرض التوصل الى اتفاق	لا يقبل بالخسائر ويطالب بمكتسبات من جانب واحد كئمن للتوصل الى اتفاق
يصر على التوصل الى اتفاق	يصر على موقفه بدلاً من الاتفاق
يحاول تجنب مباراة الإرادة	يحاول الفوز في مباراة الإرادة
يذعن للضغط	يسلط الضغط

المصدر: روجرز فيشير وآخرون، التوصل الى نعم: الاتفاق التفاوضي من دون استسلام، ترجمة لميس اليحيى ومحمود الوزاوي، ط2، (عمان: الأهلية للنشر والتوزيع، 1995)، ص27.

وفي إحدى المقابلات الإعلامية عام 1981 قال ترامب: ((إن الإنسان أكثر الحيوانات ضراوة وعنفاً، وأن الحياة ليست سوى سلسلة من المعارك تنتهي بالفوز أو الخسارة)). هذه النوعية من الشخصيات صنفها عالم النفس الشهير كارل يونج على أنها تمثل شخصية (المحارب البدائي). ومن أهم مقومات هذه الشخصية هي: المهارة المشحونة دائماً، والشجاعة، والانضباط، مهمتها في الحياة هي القتال من أجل الفوز، واكبر مخاوف هذه الشخصية هي الضعف أو الإعاقة³⁷. ويمكن للمتبع أن يلحظ أن ترامب طوال حملته الانتخابية لم يسعى نحو التراجع عن المعركة الانتخابية، رغم تعدد الانتقادات التي وجهت إليه من داخل حزبه وخارجه، ولم يعدل عن التفكير في الفوز حتى في ظل تهديد القيادات الجمهورية بالتصويت لغيره من المرشحين في المؤتمر العام للحزب الجمهوري.

³⁷ Dan P. McAdams, The Mind of Donald Trump, op. cit.

يبقى القول في ضوء النوازع النفسية والعقيدية اليت تتصف بها شخصية ترامب، فمن المرجح أن يكون نمط قيادته للولايات المتحدة الأمريكية على وفق التصورات الآتية³⁸:

1- الدافعية نحو القيادة. كفرد يعد ترامب واثق بنفسه بشكل استثنائي مع أيمان لا يتزعزع في مواهبه الخاصة، والقدرة على القيادة مع إمكانية النجاح، وعليه فان السعي نحو القوة سيكون الدافع الرئيس للسلوك القيادي عند ترامب، فضلاً عن الرغبة في السيطرة على الأوضاع، والهيمنة على الخصوم. ومع ذلك من المرجح أن يكون السلوك القيادي عند ترامب أكثر واقعية، وأقل أيديولوجية في تحقيق أهدافه السياسية.

2- التوجه القيادي. نظراً لما تتمتع به شخصية ترامب من ارتفاع الهيمنة الكارزمية، فمن المرجح أن يكون ترامب أكثر ميلاً مع الأهداف الموجهة نحو المهام المحددة (أي قيادة لأداء مهام محددة)، وعليه فإنه لن يعير أي أهمية للعلاقات مع الآخرين حتى وان كانت جيدة، إذا كانت تقف عائقاً في طريق تحقيق أهدافه في السياسة الخارجية. ولكن من جهة أخرى فان توجهه القيادي على المستوى الداخلي يميل نحو إيلاء الأهمية للولاء المتوقع من مستشاريه ووزرائه وغيرهم من أعضاء إدارته.

3- النمط الإداري. في عملية تنظيم وإدارة صنع القرار من المرجح أن يميل ترامب نحو الترويج الذاتي لقناعاته الخاصة، الأمر الذي سيجعله يسعى نحو الدفاع عن أجنداته السياسية، أكثر من سعيه نحو بناء التوافق في الآراء بين مستشاريه ووزرائه، وعليه فإن جهود ترامب ستتصب بالاتجاه الذي يكون فيه هو مصدر لعملية صنع القرار، وسيتجه نحو فرض الآراء الذي يعتقد بها على وزرائه، وهذا ما يمكن استشفافه من إقالة الرئيس ترامب للقائمة بأعمال وزير العدل (سالي بيبتس) لاعتراضها على قراراته بشأن حظر سفر مواطني سبع دول مسلمة الى الولايات المتحدة الأمريكية.

4- التعامل مع الكونغرس. في علاقته مع السلطة التشريعي من المرجح أن يميل ترامب نحو الطريقة التنافسية والأحادية، والسعي نحو السيطرة، فيما إذا كان الكونغرس يتخذ منحى المعارض لسياساته،

³⁸ Aubrey Immelman, The leadership Style of U.S. President Donald J. Trump, Working Paper No. 1, (New York: Unit for the Study of Personality in Politics, Johns University and the College of St. Benedict, January 2017), p. 10-11.

غير أنه من المرجح أن يميل ترامب نحو الطريق التعاونية والتناغمية إذا كان يرى في الكونغرس سبيلاً لتعزيز سياساته.

5- العلاقات الإعلامية. في التعامل مع الاعلام من المرجح أن يحافظ ترامب على قدرًا من الانسجام إذا كان يشعر بأنه قادرة على الأملء والتلاعب في وسائل الاعلام. ولكن بخلاف ذلك، أي مع وجود صحافة تنتقد بشدة السياسات التي ينتهجها الرئيس ترامب (بالتزامن مع حساسيته النفسية المفرطة من الإهانات الشخصية، وسرعة التفاعل مع الانتقادات) فمن المرجح أن يميل ترامب نحو الانغلاق وعدم التعاون مع الاعلام، وصولاً الى العداة الصريح.

6- العلاقات العامة. نظراً لسمات الانبساطية المرتفعة في شخصية ترامب، والميل نحو التفاعل من دون تحفظ أو قيود، فمن المرجح أن تكون علاقته مع الجمهور نشطة الى درجة كبيرة، الأمر الذي سيجعله يميل نحو التعبير والدفاع عن سياساته بصورة شخصية مباشرة، بدلاً من الاعتماد على الوكلاء (وهذا ما يمكن ملاحظته في تغريداته المتواصلة على مواقع التواصل الاجتماعي) وهو ما سيسهل عليه حشد الدعم الشعبي، وتعزيز ثقته بنفسه في مواجهة الحملات المضادة لسياساته.

سادساً: استراتيجية الرئيس دونالد ترامب وتوجهاته في الشؤون الخارجية

وفقاً لأجندته وآرائه في السياسة الخارجية التي أطلقها خلال حملته الانتخابية يمكن الاستشراق: بأن الاستراتيجية التي سيتبعها الرئيس دونالد ترامب: تتجه نحو استراتيجية التوازن من خارج الحدود، وهي الاستراتيجية التي يتبناها الاتجاه التقليدي في المدرسة الواقعية. ولكن ما فحوى هذه الاستراتيجية؟ وما هي المؤشرات التي تفيد بأن الرئيس ترامب سيتبعها في السياسة الخارجية لبلاده؟

1- فحوى استراتيجية التوازن من خارج الحدود

تتطلب استراتيجية التوازن من خارج الحدود من الأطروحات الفكرية للمدرسة الواقعية، باتجاهها التقليدي، وتتبنى وجهة نظر ضيقة للمصالح القومية الأمريكية، إذ تقتصر المصالح الحيوية للولايات المتحدة الأمريكية على الدفاع عن وحدة الأراضي الأمريكية، وحماية الأمن والحرية، والحفاظ على ممتلكات الشعب الأمريكي³⁹.

والفكرة الأساسية لبيت تدور حولها استراتيجية التوازن من خارج الحدود قوامها: إن الولايات المتحدة الأمريكية هي دولة مهيمنة في مأمّن من الناحية الاستراتيجية، وليس هناك دولة قادرة على قهرها، فبدلاً من محاولة السيطرة على جميع الدول الأخرى والأخلال بتوازن القوى، عليها السماح للقوى الكبرى بأن تتنافس مع بعضها البعض فيما هي (أي الولايات المتحدة الأمريكية) توازن بينهما من بعيد⁴⁰. وفي هذا مجال يصبح توازن القوى كبديل للهيمنة بصفته استراتيجية لحفظ التوازن عن بعد في المناطق الواقعة خارج الحدود الأمريكية.

إذ يعتقد انصار استراتيجية التوازن من خارج الحدود: أن الولايات المتحدة الأمريكية تتمتع بدرجة عالية من المناعة ضد أي تهديد خارجي، بسبب رقعتها الجغرافية المحاطة بالمحيطات، وضعف جوارها الجنوبي والشمالي، وامتلاكها السلاح النووي، ومن ثم باستطاعتها - أي الولايات المتحدة الأمريكية - أن تتأى بنفسها

³⁹ Barry R. Posen and Andrew L. Ross, Competing Visions for U.S. Grand Strategy, International Security Journal, Vol. 21, No.3. (Cambridge: Belfer Center for Science and International Affairs at Harvard University, winter 1996/1997), p.7.

⁴⁰ Ethan Landau, Cooperative Security: The American Strategy for a Rising China, Senior Theses, (Los Angeles: Claremont McKenna College, 2014), p. 12.

عن السباقات الأمنية مع القوى الكبرى، وتعتمد الى التملص الخارجي، فتضطر الآخرين الى تحمل مخاطر توازن القوى، وتكابد نفقاته ضد القوى الكبرى المهتدة من بعضها البعض⁴¹.

وهو الأمر الذي يتطلب خفض الالتزامات الأمنية الأجنبية في الخارج البعيد: كالتحالفات العسكرية، وإغلاق القواعد الأمريكية، وتجنب نشر أي قوات أمريكية في أراضي الدول الأخرى، والاعتماد على القوات البحرية والجوية للتأثير في توازنات القوى بحالات الضرورة القصوى، إذ يعتقد أنصار استراتيجية التوازن من خارج الحدود: أن مخاطر الصراعات التي بإمكانها أن تعرض الأراضي الأمريكية للهجوم تأتي مباشرة من الالتزامات الأمريكية في الخارج البعيد، وهي الالتزامات الناشئة من التحديد الفضفاض للمصالح الأمريكية في النظام الدولي⁴².

ومنطقية تلك الانعزالية في نظر انصار استراتيجية التوازن من خارج الحدود تهدف الى: خفض التكاليف الداخلية والخارجية التي ستتطوي على استبعاد أي منافس محتمل للولايات المتحدة الأمريكية، وتقليص احتمالات التورط في حرب ممكنة في المستقبل بين القوى الكبرى، وإعلاء القوة النسبية للولايات المتحدة الأمريكية في النظام الدولي؛ ذلك بأن المبدأ الذي تتطوي عليه استراتيجية التوازن من خارج الحدود هو: أن محافظة الولايات المتحدة الأمريكية على الأمن العالمي، وسيطرتها الأحادية على النظام الدولي ستصبحان بمرور الوقت أصعب على الولايات المتحدة الأمريكية، وأشد خطراً وأكثر كلفة⁴³؛ لذلك يرى أنصار استراتيجية التوازن من خارج الحدود: أن الملائات المتحدة الأمريكية بابتعادها عن الالتزامات الأمنية الموسعة في الخارج، واستمرارها بسياسات الردع، والإشراف الدولي على توازنات القوى، ستكون أقل عرضة لمخاطر التورط في حرب محتملة مع القوى الكبرى في النظام الدولي⁴⁴.

⁴¹ Ethan Landau, *Cooperative Security: The American Strategy for a Rising China*, op. cit, p.11.

⁴² Christopher Layne, *Preponderance to Offshore Balancing: America's Future Grand Strategy*, *International Security Journal*, Vol. 22, No. 1, (Cambridge: Belfer Center for Science and International Affairs at Harvard University, Summer 1997), p. 116.

⁴³ *Ibid*, p. 112.

⁴⁴ Ethan Landau, *Cooperative Security: The American Strategy for a Rising China*, op. cit, p.12.

فعلى الرغم من أن استراتيجية التوازن خارج الحدود لا تثبط مساعي الولايات المتحدة الأمريكية في الحيلولة دون ظهور منافس محتمل لزعامتها في النظام الدولي، غير أنها لا تبالغ كثيراً بخطر ظهور زعامة أوروبية أو آسيوية منافسة للولايات المتحدة الأمريكية، وتعدده خطراً صغيراً على مكانتها العالمية.

ومع ذلك، فمن أجل منع صعود أية قوة إقليمية مهيمنة في آسيا أو أوروبا تقترح استراتيجية التوازن من خارج الحدود: اعتماد سياسات التوازن بين بريطانيا وفرنسا وألمانيا وروسيا في أوروبا من جهة، والصين واليابان وروسيا والهند وكوريا الجنوبية في آسيا من جهة أخرى، مع تجنب تقديم أية ضمانات أمنية أمريكية لتلك الدول⁴⁵، إذ يحتاج أنصارها: بأنه ليس لدى الولايات المتحدة الأمريكية أي سبب ذاتي يجبرها على تحمل الثمن الباهظ الذي يتطلبه ضمان أمن الدول الأخرى، فعلى عكس الاتجاه السائد تعتمد استراتيجية التوازن من خارج الحدود على الاعتقاد: بأن الوضع الأمريكي الاستراتيجي سوف يقوى حين تحول مسؤولية الدفاع الى الدول ذاتها⁴⁶.

فصعود الصين كقوة عظمى في النظام الدولي - بالتزامن مع تزايد الشكوك حول جدوى الضمانات الأمنية الأمريكية في شرق آسيا - سيوفر حافزاً لليابان لتصبح قوة مكتفية ذاتياً من الناحية الاستراتيجية، وهو الأمر الذي ينبغي الولايات المتحدة الأمريكية استغلاله، أكثر من التحسب إليه؛ بسبب خشيتها من عودة اليابان كقوة عظمى، فبدلاً من محاولة احتواء كل من: اليابان والصين في وقت واحد، تقترح استراتيجية التوازن من خارج الحدود السماح للصين واليابان باحتواء بعضهما البعض، في حين تبقى الولايات المتحدة الأمريكية على مسافة آمنة وبعيدة منهما، ومن ثم، فإن الولايات المتحدة الأمريكية، وعن طريق استراتيجية التوازن من خارج الحدود ستحقق هدفها المتمثل بمنع الصين من أن تصبح قوة إقليمية مهيمنة في آسيا، عن طريق السماح لليابان وروسيا الاتحادية باحتواء الصين، والتورط معها في المنافسات الأمنية بالمنطقة، وهو الأمر الذي سيحول دون انتصار الصين بأية حرب مقبلة في آسيا⁴⁷.

⁴⁵ Ethan Landau, Cooperative Security: The American Strategy for a Rising China, op. cit, p.13.

⁴⁶ Christopher Layne, Preponderance to Offshore Balancing: America's Future Grand Strategy, op. cit, p. 115.

⁴⁷ Ethan Landau, Cooperative Security: The American Strategy for a Rising China, op. cit, p.13.

ومهما يكن من أمر، فإن استراتيجية التوازن لا تدعم أية تدخلات عسكرية في الخارج، وتفترض: بأن الولايات المتحدة الأمريكية غير مسؤولة عن تحمل تكاليف الحفاظ على النظام العالمي، ويسودها الاعتقاد: بأن تعزيز ونشر القيم في الخارج كالديمقراطية وحقوق الانسان يلهم الحروب الطائشة، ويولد الاستياء ضد الولايات المتحدة الأمريكية، لذلك يقترح أنصارها على الولايات المتحدة الأمريكية بالبقاء بعيداً عن الصراعات والحروب الخارجية، ويفضلون تخلي الولايات المتحدة الأمريكية عن التحالفات التقليدية الملزمة بها، وتفكيك حلف الناتو، وكذلك لا يرون فائدة تذكر في المنظمات الدولية لصنع السلام الدولي، بل يعدونها مكاناً للحديث من شأنه أن يروط الولايات المتحدة الأمريكية ويستدجها الى الصراعات الدولية⁴⁸.

وعلى أي حال، فإن هيكل القوة العسكرية الذي تفضله استراتيجية التوازن من خارج الحدود للولايات المتحدة الأمريكية هو: الاحتفاظ بقدرة الضربة الثانية لردع الهجمات النووية من أية جهة كانت، وتوسيع نشاط أجهزة الاستخبارات الأمريكية لمراقبة التطورات في جميع أنحاء العالم، وبالأخص: انتشار أسلحة الدمار الشامل من أجل منع أي تهديدات إرهابية ضد الولايات المتحدة الأمريكية، والاحتفاظ بقوات بحرية قادرة، وقوات العمليات الخاصة المتنوعة لغرض حماية التجارة الأمريكية في الخارج من الأنشطة الإجرامية والإرهابية التي تتعرض لها، ومع ذلك تفترض استراتيجية التوازن من خارج الحدود: أن الولايات المتحدة الأمريكية ستستخدم قواتها العسكرية فقط للدفاع عن مصالحها الحيوية المتمثلة بالدفاع عن الوطن، والحفاظ على حرية وأمن الشعب الأمريكي⁴⁹.

⁴⁸ D. Robert Worley, *Orchestrating the International of Power: A Critical Examination of the U.S. National Security System*, 1Ed, (USA, Lulu Press, 2012) p.222.

⁴⁹ Barry R. Posen and Andrew L. Ross, *Competing Visions for U.S. Grand Strategy*, op. cit. pp. 13-14.

2-توجهات الرئيس دونالد ترامب في السياسة الخارجية ومؤشرات استراتيجية التوازن من خارج الحدود أ. السمات العامة للسياسة الخارجية للرئيس دونالد ترامب

في خطابه الأكثر تفصيلاً حول السياسة الخارجية الأمريكية، والذي أدلى به في مركز نيكسون للمصلحة الوطنية، وهو المؤسسة التي تعبر عن الأصوات الواقعية⁵⁰، تبنى ترامب وجهة نظر ضيقة للمصالح القومية الأمريكية تستند الى مشاعر (أمريكا أولاً)، وهو الشعار الذي تبناه دعاة الانعزالية في العام 1940، بعد تأليفهم لجنة أمريكا أولاً، والتي طالبت بعدم مشاركة الولايات المتحدة الأمريكية، ودخولها في أتون الحرب العالمية الثانية، والتي حلت نفسها بعد ثلاثة أيام من وقوع الهجوم الياباني على ميناء (بيرل هاربر) الأمريكي⁵¹.

ففي كتابه الموصوم (أمريكا التي نستحقها)، والصادر في العام 2000، حدد ترامب أربعة مبادئ تمثل رؤيته لمصالح الولايات المتحدة الأمريكية في مجال: السياسة الخارجية والدفاع الوطني، وهي على النحو الآتي⁵²:

⁵⁰ لقد كان خطاب ترامب للسياسة الخارجية في مركز نيكسون يستهدف كسب تأييد الواقعيين في الحزب الجمهوري (الذين همشوا من الحزب منذ العام 1992)، على حساب المحافظين الجدد الذين أعلنوا دعمهم للمرشحة الديمقراطية هيلاري كلينتون لتولى منصب الرئاسة الأمريكية، بدلا من دونالد ترامب، وذلك لاختلاف الأخير مع التوجهات الأيديولوجية والاستراتيجية للمحافظين الجدد، وسعيه للتعاون مع روسيا الاتحادية والصين، وإعلانه عن سياسة خارجية أمريكية تقوم على فكرة (أمريكا أولاً) والتي تتناقض مع مطالب المحافظين الجدد في إرسال القوة العسكرية الأمريكية للخارج لنشر الديمقراطية وضمان أمن ومصالح الحلفاء. ففي شباط من العام 2016، أعلن روبرت كاجات أحد أبرز أقطاب المحافظين الجدد صراحه دعمه لهيلاري كلينتون في افتتاحية صحيفة (واشنطن بوست)، بصفتها الخيار الوحيد لأصناره في الحزب الجمهوري، وقال: ((أنى أشعر بالراحة معها في السياسة الخارجية، فهي سوف تنتهج السياسة التي نعتقدها)). ينظر:

Thomas Wright, Five things we (learned) from Trump's foreign policy speech, The Brookings Institution, April 27, 2016.

⁵¹ الماركينتيالية الجديدة: سياسة ترامب الخارجية، التقرير الإيسبوعي لمراكز الأبحاث الأمريكية، مركز الدراسات الأمريكية والعربية، 29 نيسان 2016. ينظر الرابط الآتي:

<http://thinktankmonitor.org/weekly-report/weekly-report-arabic/>

⁵² نقلاً عن:

John R. Haines, Divining a Trump Doctrine: Finding the Contours of Donald Trumps Foreign & National Security Policy, (Philadelphia: Foreign Policy Research Institute, March 2016).

وللمزيد ينظر:

Donald Trump, The America We Deserve. (New York: Macmillan, 2000).

1- يجب على الولايات المتحدة الأمريكية أن تحافظ على دفاعها المنيع، وأن تتكيف باستمرار مع طبيعة التهديدات المتطورة.

2- لا يمكن للعدو أن ينجح بمهاجمة الولايات المتحدة الأمريكية، إذا كانت أمريكا مستعدة جيداً لمنعه. ولكن إذا تعذر الأمر يجب على الولايات المتحدة الأمريكية أن تستبق التهديدات الصادرة من الدول الأجنبية ووكلائهم، والجماعات الإرهابية العابرة للحدود الوطنية.

3- إن التدخل العسكري الأمريكي في الصراعات الإقليمية البعيدة - باستثناء التهديدات المباشرة للوطن - لا تخدم مصالح أمننا القومي، وتزاحم الأولويات المحلية، وأن أي مساعدة حربية قصيرة في مناطق الصراع، ولاسيما في الشرق الأوسط تعرض مصالحنا القومية للخطر وتهديد تورط البلاد في الحروب الخارجية.

4- إن العبء الاقتصادي لإرث الالتزامات الأمريكية، مثل: حلف شمال الأطلسي، واتفاقيات الدفاع الإقليمية المماثلة - باستثناء الالتزام بالدفاع عن (إسرائيل) - لا يمكن تحمله، ويجب أن يتحول الى حلفائنا.

ويمكن للمتبع أن يلاحظ: إن آراء المرشح ترامب في حملته الانتخابية، ولا سيما في مجال: السياسة الخارجية والأمن القومي لم تبتعد كثيراً عن تلك المبادئ المذكورة آنفاً، وفي الواقع تعد تلك المبادئ جزءاً من المبادئ التي حددتها لجنة أمريكا أولاً في العالم 1940⁵³، إذ يرى ترامب: إنه يستمد الإلهام من تلك المرحلة الانعزالية، وإن الاتجاه الذي يتبناه في السياسة الخارجية: ((يروم العودة الى المبادئ الخالدة))، وبضيف

⁵³ يلخص وأين اس كول البنود الرئيسة الأربعة التي وضعتها لجنة أمريكا أولاً في العالم 1940، على النحو الآتي:

- 1- يجب على الولايات المتحدة الأمريكية بناء الدفاعات المنيعة.
- 2- ليس هناك أية قوة أجنبية أو مجموعة من القوى يمكن أن تهاجم الولايات المتحدة الأمريكية، إذا كانت أمريكا مستعدة.
- 3- بالبقاء بعيداً عن الحروب الأوربية يمكن للولايات المتحدة الأمريكية أن تحافظ على العناصر الحيوية للديمقراطية.
- 4- إن تقديم أي مساعدة قصيرة في الحرب (الى بريطانيا وفرنسا) تضعف الدفاع الوطني الأمريكي في الداخل، وتهدد باشتراك الأمة الأمريكية في الحرب في الخارج.

ينظر:

Wayne S. Cole, America First: The Battle Against Intervention, 1940-1941. (Madison: University of Wisconsin Press, 1953), p.15.

ترامب: ((أن السياسة الخارجية التي سأتبناها تضع مصالح الشعب والأمن الأمريكي في المقام الأول، وقبل كل الاعتبارات الأخرى))، مؤكداً (إن شعار) أمريكا أولاً ((سيكون محور سياستنا الخارجية، والموضوع الرئيس في إدارتنا))⁵⁴. ومن هذا المنطلق يصف فرانسيس فوكوياما الرئيس دونالد ترامب بأنه: ((ينزع نحو الانعزالية وغير تواقاً أو حريصاً على استخدام القوة العسكرية حول العالم))⁵⁵.
وعليه من خلال خطابه الأساسية يمكن الوقوف على المبادئ والمنطلقات الفكرية التي تحكم السياسة الخارجية للرئيس دونالد ترامب⁵⁶:

1- يتبنى ترامب في سياسته الخارجية مبدأ (أمريكا أولاً) كهدف عام لسلوك الولايات المتحدة الأمريكية في النظام الدولي، بمعنى: أنه لا يجب على الولايات المتحدة الأمريكية أن تؤمن مصالح غيرها، مع ضرورة الالتزام بالمصالح القومية الأمريكية، والتعامل معها على أنها الدافع الأول والأساس لأي تحرك على مستوى السياسة الخارجية، فالولايات المتحدة الأمريكية من وجهة نظر ترامب ليس عليها أن تتحمل عبء حماية أو دفاع عن دول أخرى دون مقابل، أو توفر الحماية للراكبين بالمجان في إشارة للدول التي توفر لها الولايات المتحدة الحماية الأمنية بقوتها العسكرية.

2- يعد ترامب من أنصار الانعزالية في السياسة الخارجية، ويعتقد بأن الولايات المتحدة الأمريكية حددت مصالحها القومية على نطاق واسع جداً، ومع ذلك يرى ترامب: أن الولايات المتحدة الأمريكية ليس عليها أن تتدخل في تنظيم شؤون العالم وحل مشكلاته، لذلك يعارض ترامب فكرة تعزيز الديمقراطية ونشرها في الخارج، وتقديم الضمانات الأمنية للدول الأخرى، وهو يتجنب في خطابه الحديث عن

⁵⁴ Donald J. Trump Foreign Policy Speech, op. cit.

⁵⁵ Francis Fukuyama, US against the world? Trump's America and the new global order, op. cit.

⁵⁶ يماني سليمان، توجهات السياسة الخارجية عند دونالد ترامب، تقدير موقف، المعهد المصري للدراسات السياسية والاستراتيجية، 21 أيار 2016، ينظر الرابط الآتي:

<http://www.eipss-eg.org/2/0/746>.

وكذلك ينظر:

- Thomas Wright, Five things we (learned) from Trump's foreign policy speech, op. cit.
- Donald J. Trump Foreign Policy Speech, op. cit.

العالمية، في الوقت الذي يغلب على خطاباته التأكيد على الروح القومية وأهمية الدولة القومية في السياسة الخارجي.

3- ومثلما لا يرى أنصار استراتيجية التوازن من خارج الحدود فائدة تذكر في المؤسسات الدولية، لا يؤمن ترامب بالمنظمات الدولية وفي قدرته على إحلال السلام، ولا يؤمن بالعمل في إطارها إذ يقول ترامب: ((أنا متشكك جداً من المنظمات والاتحادات الدولية، لأنها تقلل من قدرتها على التحكم في شؤوننا))⁵⁷.

4- لا يؤمن ترامب بفكرة التدخل الإنساني أو مسؤولية الحماية الإنسانية كأساس أو دافع للتدخل العسكري في الدول الأخرى، وغير مؤيد لنشر الديمقراطية في الخارج، وبالتالي فهو ينزع نحو التخلي عن الأهداف الإنسانية والالتزامات الأخلاقية، والتركيز فقط على مصالح الولايات المتحدة الأمريكية، فطالما أن الأمر لا يمس المصالح الأمريكية، فلا داعي لتوريط القوات الأمريكية في الخارج. لكن عندما تتهدد لمصالح الأمريكية، يجب على الولايات المتحدة التدخل العسكري الأحادي وبالشكل الذي لا تعتمد فيه على أي أطراف آخر.

5- يتبنى ترامب مبدأ الحماية التجارية للسوق الأمريكي في العلاقات الاقتصادية الدولية، ويشكك في مدى فاعلية وتأثير الاتفاقيات التجارية الدولية على الاقتصاد الأمريكي، لكونه يرى: أن تلك الاتفاقيات غالباً ما تصب في مصلحة الطرف الآخر وعلى حساب الولايات المتحدة الأمريكية، لهذا فهي تضر بالاقتصاد والسوق الأمريكي.

ب. توجهات الرئيس دونالد ترامب حيال حلفاء الولايات المتحدة الأمريكية في أوروبا وآسيا
تقترب آراء ترامب في السياسة الخارجية كثيراً من أفكار استراتيجية التوازن من خارج الحدود بشأن تخفيض الالتزامات الأمنية الأمريكية في الخارج البعيد، إذ يشكك ترامب بالتحالفات الأمريكية في أوروبا وآسيا، ويرى: ((أن حلف الناتو منظمة عفا عليها الزمن، ويضيف ترامب: ((أن الحلف الذي يضم (28) دولة، أنشأ في عهد مختلف عندما كان الاتحاد السوفيتي السابق يمثل التهديد الرئيسي للغرب، وتابع)) أن الحلف ليس مؤهلاً

⁵⁷ Donald J. Trump Foreign Policy Speech, op. cit.

لمكافحة الإرهاب، ويكلف الولايات المتحدة الأمريكية ثروة مالية طائلة، مؤكداً بقوله: ((أن الولايات المتحدة الأمريكية قد تضطر الى تخفيض إلتزاماتها المالية في حلف الناتو))⁵⁸.

ويرى ترامب أن على دول أوروبا تحمل عبء الدفاع عن نفسها وتكاليفه المادية، وأن الولايات المتحدة الأمريكية ليس عليها أن تتفق تلك المبالغ الهائلة لتأمين أوروبا انشاء القواعد العسكرية على الأراضي الأوروبية، فالاتحاد الأوروبي عليه أن يتحمل تكلفة الأمن التي يريدها، لذلك يعترض ترامب على تحمل الولايات المتحدة الأمريكية النصيب الأكبر من ميزانية حلف الناتو الذي يضم (28) دول أوروبية، ولا تتفق عليه سوى الولايات المتحدة الأمريكية، الى جانب اتفاق متواضع من أربع دول أوروبية وبنسبة لا تتجاوز (2) بالمائة من ناتجها المحلي الإجمالي⁵⁹. ويبدو أن ترامب يريد من ذلك تحميل دول الاتحاد الأوروبي نفقات توازن القوى مع روسيا الاتحادية، فمن هذا المنطلق يشير ترامب بصراحة الى ضرورة الابتعاد الأمريكي عن تحالفاته مع الدول الأوروبية إذا لم تلتزم بتحمل نصيبها من الإنفاق العسكري، بل ويهدد بالانسحاب من الناتو إذا لم يلتزم أعضاؤه بالحد المتفق عليه للإنفاق العسكري.

وعلى ما يبدو أن قلق المسؤولين الأوروبيين من مساعي ترامب الجديدة للتدخل من ثقل فواتير الحماية الأمنية لأوروبا، هو الذي جعل دول الاتحاد الاوربي تفكر بواقعية في خيار (الاستقلالية الاستراتيجية لأوروبا) بعد وصول ترامب لسدة الرئاسة الأمريكية.

فمن أجل تفادي تداعيات عدم الالتزام الأمريكي بأمن أوروبا، تبنى وزراء الدفاع والخارجية لدول الاتحاد الأوربي في 14 تشرين الثاني 2016، (خطة عمل بروكسل) لأنشاء كتل دفاعي مشترك يشمل: العمل على مشاريع دفاعية مشتركة، وضخ أموال كبيرة في مجال الصناعات العسكرية، وأنشاء مقر موحد لتنسيق وإدارة

⁵⁸ Maggie Haberman and David E. Sanger, Highlights From Our Interview With Donald Trump on Foreign Policy, The New York Times, March 26, 2016.

⁵⁹ يماني سليمان، توجهات السياسة الخارجية عند دونالد ترامب، مصدر سبق ذكره.

المهمات العسكرية الأوروبية⁶⁰. وكل ذلك لسد فجوة القوة العسكرية في أوروبا في حال تخلت إدارة ترامب عن الالتزامات الأمنية والدفاعية تجاهها.

وبحسب وزيرة خارجية الاتحاد الأوروبي فيديريكا موغيريني، أن مشروع التكتل الدفاعي الأوروبي يشمل ثلاثة محاور: الأول/ يشمل تعزيز إمكانات الحماية الذاتية للاتحاد الأوروبي لتوفير الضمانة الأمنية لأوروبا بعيداً عن الضمانة الأمريكية. الثاني/ يشمل القدرة على الاستجابة العسكرية للصراعات والنزاعات التي تحيد بأوروبا. ويشمل الثالث العمل على بناء القدرات الأمنية والدفاعية بما يعزز مناعة الدول الأوروبية⁶¹.

أما فيما يخص حلفاء الولايات المتحدة الأمريكية في آسيا، فمثلما يحتاج أنصار استراتيجية التوازن من خارج الحدود: بأن ليس للولايات المتحدة الأمريكية أي سبب ذاتي يجبرها على تحمل الثمن الذي يتطلبه أمن الدول الأخرى، فإن ترامب يشكك من تكاليف الدفاع عن كوريا الجنوبية واليابان وحماية آسيا الباسفيك، إذ يقول: ((إن الوجود العسكري الأمريكي على الحدود بين كوريا الشمالية وكوريا الجنوبية يضع عبئاً غير عادل على دافعي الضرائب في الولايات المتحدة الأمريكية))، ولا يرى ترامب: أن القواعد الأمريكية في آسيا وغيرها من الالتزامات الأمنية أكسبت الولايات المتحدة الأمريكية شيئاً ذا قيمة⁶².

على الرغم من أن ترامب تراجع عن فكرة عدم الالتزام بأمن كوريا الجنوبية، إلا أن الحجة التي انطلق منها ترامب لها ما يسوغها في استراتيجية التوازن من خارج الحدود، اليت تقترض: بأن الوضع الاستراتيجي الأمريكي سوف يقوى حين تحول مسؤولية الدفاع الى الدول ذاتها، يقول ترامب: ((إن على أوروبا وآسيا أن تدافعا عن نفسها))، فمن منظور ترامب لا ينبغي للولايات المتحدة الأمريكية أن تقدم الأمن (مجاناً) لحلفائها، وينبغي لها بدلا من ذلك أن تتركهم يدافعون عن أنفسهم. ويضيف ترامب في موضع آخر: ((إن العالم سيكون أماناً إذا قام حلفائنا بدورهم في الدفاع عن أنفسهم، ودعم دفاعاتنا المشتركة))⁶³، وفي مقابلة

⁶⁰ وسيم إبراهيم، أوروبا أمام ترامب والنار السورية: أنياب عسكرية لـ (الاستقلال) عن واشنطن، جريدة السفير، العدد 13515، 15 تشرين الثاني 2016، ص 1.

⁶¹ وسيم إبراهيم، أوروبا أمام ترامب والنار السورية: أنياب عسكرية لـ (الاستقلال) عن واشنطن.

⁶² Dan Balz, Trumps Foreign policy views: A sharp departure from GOP orthodoxy, The Washington post, March 21, 2016.

⁶³ Donald J. Trump Foreign Policy Speech, op. cit.

مع صحيفة نيويورك تايمز قال ترامب: ((إن سيبحث السماح لليابان وكوريا الجنوبية بامتلاك أسلحتهما النووية بدلاً من الاعتماد على الولايات المتحدة الأمريكية في توفير الحماية لها ضد كوريا الشمالية والصين))⁶⁴.

وهو الأمر الذي يروم من ورائه ترامب إعلاء القوة النسبية للولايات المتحدة الأمريكية، وخفض التكلفة الداخلية التي ستنطوي على مهمة منع نشوء منافس محتمل للولايات المتحدة الأمريكية في النظام الدولي، إذ يقول ترامب: ((أن سياستنا الخارجية كارثة حقيقية أخذت تتحرف عن مسارها منذ انتهاء الحرب الباردة))، ويضيف: ((نحن نعيد بناء الدول الأخرى، ونضعف بلدنا)) مندداً عن مهمات بناء الدول في الشرق الأوسط، والعجز التجاري الأمريكي مع الصين، لذلك أعلن ترامب: ((أن الموضوع الرئيس بالنسبة له هو: إعادة بناء الولايات المتحدة الأمريكية من الداخل قبل الذهاب والتوجه الى الخارج))⁶⁵.

من هذا المنظور يرى روبرت سكيلسكي أستاذ الاقتصاد السياسي بجامعة وارويك بإنكلترا، في مقال له بعنوان: ((تمهلوا في التعامل مع ترامب))، أن مساعي ترامب في فك الارتباط بالمسؤوليات العالمية هو مبرر بسبب تعثر الاقتصاد الأمريكي، وزيادة حجم المديونية، وزيادة معدل الضرائب، - ناهيك عن اتساع فجوة التفاوت بالدخول في المجتمع الأمريكي بسبب العولمة الأمر الذي عزز من نفوذ الحركات الشعبوية -

⁶⁴ Maggie Haberman and David E. Sanger, Highlights From Our Interview With Donald Trump on Foreign Policy, op. cit.

لقد أثارت تصريحات وخطابات دونالد ترامب الكثير من الجدل داخل الأوساط السياسية اليابانية، حيث بدأت الحكومة اليابانية تناقش بواقعية مسألة إعادة النظر في موضوع امتلاكها للسلاح النووي من عدمه، وقد بدأ بعض المعارضين اليابانيين - الذين يشككون في خطط إصلاح الدفاع الياباني الذي يتبناها رئيس الوزراء الياباني شينزو آبي - يسودهم الاعتقاد: بأن هناك مؤامرة سرية مع الولايات المتحدة الأمريكية لتحويل اليابان الى دولة مالكة للأسلحة النووية. ولكن بحسب استراتيجية التوازن من خارج الحدود، فمن المفترض ان تتحمل اليابان مخاطر توازن القوى مع الصين وكوريا الشمالية بدلاً من تحمل الولايات المتحدة تلك التكاليف ابلاهة. للمزيد عن مناقشات خطط إصلاح الدفاع الياباني، ينظر:

Yuriko Koike, Trumps Dangerous America First Campaign, The Project Syndicate April 27, 2016. At: <http://www.project-syndicate.org/commentary/trump-isolationist-foreign-policy-by-yuriko-koike-2016-04>

⁶⁵ Donald J. Trump Foreign Policy Speech, op. cit.

وبالتالي فإن انعزالية ترامب هي وسيلة شعبية للقول: بأن الولايات المتحدة الأمريكية لابد أن تتسحب من الالتزامات التي لا تمتلك القدرة ولا الإرادة اللازمة لاحترامها⁶⁶.

الولايات المتحدة الأمريكية في عهد الرئيس ترامب... رؤية مستقبلية

لعلنا لا نبالغ إذا قلنا: أن صعود ترامب الى سدة الرئاسة الأمريكية قد مثل محطة مهمة في السياسات الأمريكية الخارجية. فثمة خيط ناظم بين شعار ((لنجعل أميركا عظيمة مرة أخرى)) وبين الاستراتيجية التي تبناها ترامب وفريقه للأمن القومي. وتشير الكثير من المؤشرات أن الاستراتيجية الكبرى للولايات المتحدة الأمريكية تغير في عهد ترامب لاعتبارات تتعلق بالوضع المستقبلي الداخلي للقوة العظمى. والتجربة التاريخية في نشوء وسقوط القوى العظمى تثبت: أن القوى العظمى لا تنهار من الخارج، وإنما تتداعى من الداخل حينما تفرط بالالتزامات وتوسعها الخارجية. وهي الحجة التي أثبتها بول كندي حين تتبع بحصافة تاريخ صعود وسقوط القوى العظمى، فوجد أنها حصيلة تفاعل بين الاقتصاد والاستراتيجية، بعد أن استنتج: ((أن جميع دول الطليعة للنظام العالمي لم تأل جهداً كي تعزز ثروتها وقوتها حتى تغدو (أه تبقى) ثرية وقوية مرة أخرى... وبالعكس لو خصصت الدولة نسبة كبيرة من مصادرها لأغراض التوسع العسكري فحسب، بدلا من توظيفها لأغراض خلق الثروة وتميئتها، لا ختطت لنفسها طريق التداعي على المدى البعيد. وستلقي الدولة بنفسها في خطر توسعها الاستراتيجي المفرط، لو رجحت كفة الأنفاق الهائل على مثل هذا التوسع الخارجي، وحينها ستدخل تلك الدولة مرحلة الانهيار الاقتصادي النسبي))⁶⁷.

ولأسباب تتعلق ببناء الداخلي والاستعداد لمرحلة أعظم، وللموازنة بين الإنتاج ونمو عوائده من جهة، وبين الالتزامات الخارجية المفرطة من جهة أخرى، فإن الاستراتيجية الكبرى للولايات المتحدة الأمريكية آخذة بالتغير، وعلى ما يبدو أنها ستتغير على عهد الرئيس دونالد ترامب.

⁶⁶ Robert Skidelsky, Slouching Toward Trump, The Project Syndicate, November 12, 2016.

⁶⁷ بول كندي، نشوء وسقوط القوى العظمى، ترجمة مالك البديري، ط1، (عمان: الأهلية للنشر والتوزيع، 1994)، ص11-13.

إن الاستراتيجية الكبرى للولايات المتحدة الأمريكية التي ستتبعها إدارة ترامب، سوف تختلف عن الاستراتيجيات المتبعة في عهدي جورج دبليو بوش، وباراك أوباما، في محاولة لتجاوز الانعطاف الكبيرة التي من الممكن أن يواجهها الداخل الأمريكي في المستقبل البعيد.

ففي عهد إدارة جورج دبليو بوش سارت الولايات المتحدة الأمريكية باتجاه استراتيجية أولوية الهيمنة، وهي استراتيجية استنزفت الاقتصاد الأمريكي، فالخطأ الذي اقترفه بوش هو أنه وجه الولايات المتحدة الأمريكية نحو استراتيجية الهيمنة في أربعة مناطق متتالية: الشرق الأوسط وشمال أفريقيا، آسيا الوسطى وشرق أوروبا (أطراف أوراسيا) ومن ثم شرق سيبيريا. وقد حاول بوش أن يجعل الولايات المتحدة الأمريكية تهيمن على تلك المناطق، الأمر الذي استنزف الكثير من موارد القوة الأمريكية، وبرز ذلك بشكل واضح عقب الأزمة المالية في العام 2008، حينما تداعى الاقتصاد الأمريكي بشكل غير مسبق.

في العام 2009، أدركت إدارة باراك أوباما مخاطر الاستمرار باستراتيجية الهيمنة على وضع الولايات المتحدة الأمريكية في النظام الدولي، لا سيما ف ظل بروز القوة الثينية والروسية على الساحة الدولية وسعيهما الى إثبات الذات في النظام الدولي قبالة التراجع الاقتصادي الأمريكي.

فبدلاً من استراتيجية أولوية الهيمنة سارت الولايات المتحدة الأمريكية في عهد إدارة أوباما على استراتيجية الانخراط الانتقائي في المناطق التي تؤثر على مستقبل القوة الأمريكية في العالم، كمنطقة آسيا الباسيفيك الممتدة من غرب المحيط الهادي وشرق آسيا الى منطقة المحيط الهندي وجنوب آسيا، حيث الصين وروسيا الاتحادية، القوى التي من شأن تزايد صعودها ونفوذها أن يضعف من قوة الولايات المتحدة الأمريكية في النظام الدولي.

في حين اتبعت إدارة أوباما استراتيجية حفظ التوازن عن بعد، في المناطق التي لا تؤثر على القوة الأمريكية بشكل مباشر، كالحالة مع أوروبا ومنطقة الشرق الأوسط التي انتهت كمحور ثقل بالنسبة للولايات المتحدة الأمريكية لصالح الشرق الآسيوي، وهذا ما شهدناه في الانسحاب من العراق، والتراجع الأمريكي في الشرق الأوسط، (وأن تضاول ذلك التراجع في الأعوام الأخيرة لإدارة أوباما لا سيما بعد ظهور (داعش) في العراق وسوريا)، وعدم رغبة إدارة أوباما بالانغماس في صراعات المنطقة.

رغم أن تلك الاستراتيجيات التي سارت عليها الولايات المتحدة الأمريكية في عهد إدارة أوباما نجحت في تقليل الضرر الداخلي الأمريكي، وهو ما ظهر في حالة التعافي النسبي للاقتصاد الأمريكي مقارنة بالوضع الذي كان عليه بعد العام 2008. ولكن مع ذلك بقيت الفجوة كبيرة، وأن استمرارها من شأنه أن يعجل بتراجع القوة الأمريكية على المستوى العالمي.

وعليه، من أجل سد الفجوة الداخلية التي من الممكن أن تطفو على السطح مستقبلاً وتؤثر على مستوى القوة الأمريكية في النظام الدولي فإن إدارة ترامب اتجه بالولايات المتحدة الأمريكية باتجاه استراتيجية حفظ التوازن عن بعد في الشرق الأوسط وأوروبا وآسيا الباسفيك. وفي هذا المجال سيصبح توازن القوى كبديل للهيمنة، بصفته استراتيجية لإدارة التوازنات الإقليمية والدولية في المناطق الواقعة خارج الحدود الأمريكية. وتطور أهداف تلك الاستراتيجية حول تجنب الانغماس في الصراعات الدولية، وتقليل الالتزامات الخارجية الباهظة، وأعلى القوة النسبية للولايات المتحدة الأمريكية في النظام الدولي.

إن النموذج التاريخي لتلك الاستراتيجية هو بريطانيا حينما كانت في ذروة قوتها، والتي استطاعت بمقدر عالية رغم شحة مواردها القيام بدور الزعيم؛ لأنها كانت قادرة على القيام بدور المحافظ على التوازن خارج حدودها، وعلى اغتنام الفرص لكي تدفع منافسيها للاقتتال فيما بينهم. فبانعزال بريطانيا عن الصراعات الأوروبية بفضل وضعها الجغرافي المميز (وطبعاً بفضل سيطرة الأسطول الملكي على البحار)، كانت في الغالب قادرة على البقاء بعيدة عن حروب التي تنشب في أوروبا. وحتى إذا اضطرت للتدخل كانت بريطانيا تستطيع أن تحد من مدى تورطها، وتحمل حلفائها معظم نفقات الحرب وأخطارها. وبالتالي كان يوسع بريطانيا في معظم الوقت زيادة قوتها إلى الحد الأقصى مقارنة بالدول الأوروبية الكبرى من دون أن تفعل شيئاً أكثر من مراقبة الأوربيين وهم يقتتلون فيما بينهم، وبذلك فهم يضعفون أنفسهم لصالح بريطانيا⁶⁸.

وعلى ما يبدو أن الولايات المتحدة الأمريكية على عهد ترامب ستقوم بدورها القيادي في النظام الدولي من خلال استراتيجية حفظ التوازن عن بعد، ولهذا ليس من المتغرب أن يتحلل ترامب من ثقل الالتزامات الأمريكية الباهظة في الخارج، ولكن بصورة أقل حدة مما أعلنه في حملته الانتخابية. فمن الناحية

⁶⁸ Christopher Layne, Preponderance to Offshore Balancing, op. cit. p.116.

الاستراتيجية يمكن للمرء أن يرى أن الالتزامات الأمريكية الخارجية (كالتحالفات، والاتفاقيات الأمنية، والتواجد العسكري) لم تمنع من تقييد القوى المناهضة للولايات المتحدة الأمريكية، فهي لم تمنع من صعود الصين أو تقييد من نفوذها، وكذلك لم تقييد النفوذ الروسي في شرق أوروبا، وآسيا الوسطى، والشرق الأوسط. أن الالتزامات الأمريكية الخارجية رغم أهميتها، إلا أنها أفادت الدول الأخرى بالمجال أو عززت من قوتها تجاه الصين وروسيا الاتحادية، لكن من ناحية أخرى هي زادت الأعباء الداخلية الأمريكية.

وعليه بدلاً من تلك الاستفادة المجانية، فإن إدارة ترامب ستعتمد على تبني مقارنة جديدة لتلك الالتزامات، فبدلاً من الاستفادة من قوة الولايات المتحدة لتوفير الأمن وإقامة التوازن، ستعتمد إدارة ترامب على قوة الحلفاء والشركاء (وحتى غير الحلفاء كروسيا الاتحادية) لتوفير الأمن وإقامة التوازن بين القوى الإقليمية والدولية في النظام الدولي. ومن ثم ستكون الولايات المتحدة الأمريكية هي بموضع الراكب المجاني وليس حلفائها، أي ستسعى إلى تحقيق المنفعة من خلال الحلفاء والشركاء وليس العكس كما هو الحال في عهد إدارة أوباما وما قبله من الإدارات السابقة، حيث يستفاد الحلفاء والشركاء بالمجان من التدخلات العسكرية الأمريكية، والضمانات الأمنية والدفاعية التي توفرها لهم الولايات المتحدة الأمريكية.

وذلك هو جوهر استراتيجية التوازن من خارج الحدود أو استراتيجية حفظ التوازن عن عد، التي تقوم على مبدأ مفاده: أن محافظة الولايات المتحدة الأمريكية على الأمن الدولي من خلال توسيع الالتزامات الخارجية، وسعيها (وبذل مواردها) نحو الهيمنة على النظام الدولي، ستصبحان بمرور الوقت أصعب على الولايات المتحدة الأمريكية وأشد خطراً على قوتها النسبية، وأكثر كلفة على الاقتصاد الأمريكي وبالتالي فإن ابتعاد إدارة ترامب عن الالتزامات الأمنية الموسعة في الخارج، واستمرارها بسياسات الردع، والأشراف الدولي على توازنات القوى، سيجعل الولايات المتحدة الأمريكية أقل عرضة للتورط في مخاطر الصراعات الدولية، وسوف يساعدها على التفرغ لسد فجوتها الداخلية وتعظيم موارد قوتها الذاتية.

ويجب أن لا ننسى أن ترامب رجل أعمال، فهو يفكر بالطريقة التي توفر المال للولايات المتحدة الأمريكية.

فرص الانفرادية الامريكية في ظل الادارة الجديدة (جو بايدن)

يمكن التنبؤ نسبيا بأن فوز المرشح الرئاسي جو بايدن مرشح الحزب الديمقراطي سيغير الكثير من المعادلات الأمريكية. لقد قلب الرئيس ترامب السياسة الخارجية الأمريكية في مجالات عدة تتعلق بالصين وأوروبا وإيران وسوريا وفلسطين، كما قلب الرئيس ترامب سلبا معادلات تتعلق بالتجارة العالمية والمناخ والبيئة.

سيكون لزاما على الرئيس الجديد العمل على تحقيق تغير في السياسة الأمريكية الخارجية . ستكتشف الولايات المتحدة، مع انتخاب بايدن، أن التوجهات الشعبية الأمريكية تعارض التورط في حروب جديدة، كما يعم الرأي العام الأمريكي حالة ضيق من آفاق التدخل العسكري في دول أخرى وذلك بسبب العبء الاقتصادي والأمني لهذه التدخلات. لهذا سيكون العهد الديمقراطي أكثر مهادنة للدول الإقليمية كإيران وتركيا، كما وللصين وغيرها من الدول. بالطبع لن يكون أكثر مهادنة للمملكة العربية السعودية والإمارات، فتغير الطاقم الحاكم سيعيد العلاقة لمرحلة ما قبل ترامب. وبنفس الوقت لا يعرف بأي اتجاه سيسير الكونغرس الأمريكي في العلاقات مع دول عربية عدة خاصة مع اكتساح الحزب الديمقراطي انتخابات الكونغرس. من جهة أخرى قد تكون وتيرة الدعوة الأمريكية للديمقراطية ولحقوق الإنسان أعلى وأقوى في عهد رئيس ديمقراطي بنفس الوقت.

منذ انتخاب الرئيس دونالد ترامب والإعلام الأمريكي برمته تحول لسلطة رقابة حاسمه على البيت الأبيض. ومع تطور فترة رئاسة ترامب وكثرة الأخطاء والاستقلالات وسوء التقدير في التعامل مع الأحداث (كورونا والحراك الشعبي الأمريكي) لم يبق مع الرئيس سوى محطة فوكس ومحطات صغيرة ضعيفة التأثير، وبالطبع بعض محطات الإنجيليين. لهذا من المتوقع أن يستعيد الإعلام الأمريكي بعد الانتخابات مكانته وتعدديته ودوره.

في المرحلة القادمة ستكتشف الولايات المتحدة بأنها لن تستطيع قيادة العالم لوحدها، وأن اللحظة الأمريكية الاحادية قد فاتت، وأنها لن تستطيع إدارة الدول الأخرى كما تريد، بل ستضطر للتعاون الدولي والتعاون الإقليمي، خاصة وأن الأولوية في السياسة الخارجية الجديدة ستكون للتعامل مع آثار كورونا الاقتصادية وللتعامل مع كافة القضايا المرتبطة بالتجارة وتحسين الأداء الاقتصادي. مع

الإدارة الجديدة لن تكون تصورات بومبيو حول العقوبات على إيران مثلا هي الفيصل، كما يصعب أن تستمر تصورات الأسود والأبيض في التعامل مع الصين وأوروبا، ستجد الولايات المتحدة أن التعاون والتفاوض هو الأفضل من المقاطعة والابتعاد.

في المرحلة القادمة ربما سترفع أوروبا من نسبة اعتمادها الاقتصادي على الصين. فالصين في المرحلة القادمة ستكون شريكا استراتيجيا واقتصاديا لأوروبا. وهذا سيعني ان أوروبا ستخفف نسبيا من اعتمادها على الولايات المتحدة. لقد كشفت جائحة كورونا الكثير، وهذا سيتضح بعد زوال الجائحة ومجيء الرئيس الجديد. فأوروبا لم تعد تحتل أثر الانسحاب الأمريكي من اتفاقية المناخ، ومن الاتفاق النووي مع إيران ومن غيرها من الاتفاقيات بما فيها العلاقة مع حلف الناتو.

في الحقبة القادمة (حقبة الرئيس بايدن) سيشهد الدور الأمريكي مزيدا من التراجع، لكن ذلك لا يعني نهاية الدور الأمريكي العالمي، بل سيعني تراجعاً لهذا الدور ولجوءه للغة التحالفات والتعاون والجدير بالمتابعة أن أوروبا وعلى الأخص ألمانيا اكتشفت مع الوقت بأن الرئيس ترامب يرى في ألمانيا منافسا اقتصاديا يجب التصدي له. لهذا فإن أوروبا ستسعى للتوازن لكي لا يكون لدى الولايات المتحدة المقدر على استنزافها في المراحل القادمة. لكنها بنفس الوقت سترحب برئيس يمكن التفاهم معه. أن تراجع التعاون الأمريكي الأوروبي حول إيران وأمن أوروبا دفع الأوروبيين للتفكير بإجراءات جديدة وتوازنات جديدة.

لنأخذ المسألة الإيرانية، لقد ألغى الرئيس الأمريكي الاتفاق النووي الإيراني ورفع من نسب التعاون مع إسرائيل بصورة تتجاوز أنواع التعاون السابقة. لكن الرئيس الأمريكي لم ينجح في حل المشكلة الإيرانية، التي لازالت تراوح مكانها، كما أنه لم ينجح في حل أي من مشكلات الإقليم الأخرى، كالمشكلة الفلسطينية المستمرة والتي قد تنفجر بأي وقت، أو حل الأزمة الخليجية وإنهاء حصار قطر، كما لم يستطع التأثير على حرب اليمن وحرب ليبيا، وغيرها من النزاعات.

ومن المتوقع مع رئيس جديد أن تغير الولايات المتحدة السلوك الأمريكي أولا تجاه إيران. هذا التحول ستقبل عليه الولايات المتحدة معطيا بقاء النظام الإيراني في مكانه. لهذا ستجد الولايات المتحدة أنها بحاجة لهدوء أكبر في ملفها الشائك مع إيران، ولهذا ستبتعد عن مسالة زيادة العقوبات الراهنة، وعن الضغط المبالغ به على إيران، لكنها ستجر إيران لمفاوضات تسمح بالتهدئة والتوازن. وبينما يدور جانب من الصراع الأمريكي مع إيران حول قضايا محددة كالنووي ودور إيران في الإقليم، لكن

الولايات المتحدة في ظل ادارة ديمقراطية جديدة ستكون أقل حماسة للتصدي للدور الإيراني في الإقليم، بل ستكون تلك الإدارة أكثر حماسة للوصول لتسوية مع إيران. ربما تنشأ تحالفات هدفها التهدئة وتغير سلوك إيران بلا مواجهة مباشرة. هذه احتمالات قائمة تتناقض مع الخط العام لإدارة الرئيس ترامب.

لكن ذلك لا يعني نهاية الدور الأمريكي العالمي، بل سيعني تراجعاً لهذا الدور ولجوءه للغة التحالفات والتعاون. ستبقى الولايات المتحدة دولة قوية ومؤثرة واحياناً حاسماً في قضايا وملفات عالمية، لكن دورها لن يكون كالسابق وقدراتها لن تسمح لها بأن تكون بوليس العالم.

ثانياً / السياسات الانفرادية لروسيا الاتحادية

شهد العقد الأخير من القرن العشرين العديد من المتغيرات الدولية التي اعتبرت مرحلة الحرب الباردة بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي السابق ومن ثم انتهى الصراع الأيديولوجي بين الدولتين. فقد أدت تداعيات انتهاء الحرب الباردة في عام 1991 الذي نجم عن اتفاق رؤساء الجمهوريات السلافية الثلاث بوريس يلتسن رئيس روسيا الاتحادية وستاتيلاف شوشكفيتش رئيس روسيا البيضاء وليونيد كرافتشوك رئيس أوكرانيا في اجتماع عقد في بريست، على إعلان تفكك الاتحاد السوفيتي رسمياً. واتفق الجهات الثلاثة على إقامة رابطة الكومنولث للدول المستقلة (CIS) تكون عاصمتها منسك. إلا أن تفكك الاتحاد السوفيتي السابق لم يؤد إلا الى انسلاخ ربع مساحته، أما الثلاثة أرباع الباقية بقيت بيد روسيا، حيث ورثت معظم ما كان يملكه الاتحاد السوفيتي من إمكانيات مادية وبشرية وعسكرية، وكذلك احتفظت روسيا بمقعدها الدائم في مجلس الامن.

اذن في أعقاب انتهاء الحرب الباردة وتفكك الاتحاد السوفيتي، تغيرت السياسة الخارجية الروسية، خلال عقد التسعينيات، توافقا أو استجابةً مع السياسات الأميركية، وانسحبت روسيا من مواقع كان وجودها فيها يمثل تحدياً للستراتيجية الامريكية، وسياسات إسرائيل على حد سواء، لا سيما في منطقة الشرق الأوسط. وفضلا عن ذلك، كانت روسيا من بين دول كثيرة، حاولت استثمار أحداث "11سبتمبر" في العام 2001، للتقارب مع الولايات المتحدة، فراحت تقدم نفسها الشريك والحليف الذي يعتمد عليه في محاربة ما يسمى بالحرب على الإرهاب. وفي سبيل ذلك، قدمت روسيا تنازلات سياسية وأمنية وعسكرية في آسيا الوسطى، كان بعضهم يعتبرها، إلى عهد قريب، من المحرّمات في السياسة الروسية.

وكا السؤال السؤال المطروح هو كيف يمكن لسااسة الروس صياغة سياسة خارجية جديدة تعيد المركزية الدولية لروسيا يتوافق مع مقدراتها العسكرية، وكيف يمكن التوفيق بين مقتضيات عظمة روسيا كقوة كبرى والالتزامات الضخمة لتلك العظمة التي لا تستطيع روسيا الوفاء بها وحدها ؟ خاصة وان استقلال روسيا تزامن مع صعود قوى دولية جديدة كالاتحاد الاوروبي، الذي تكون بموجب معاهدة ماستريخت، والصين التي حققت معدلات للنمو بلغت 12% في المتوسط في التسعينات، اضافة الى صعود دول النمر الاسيوية

وبالتالي أصبح من الضروري ان تصوغ روسيا سياسات خارجية جديدة للتعامل مع هذه القوى الصاعدة، وكذلك تؤمن لروسيا دور والمكانة العالمية تليق بها.

ومع مجيء الرئيس فلاديمير بوتين الى سدة الرئاسة الروسية في كانون الثاني سنة 2000 سعى الى تعميق التوجه الاوراسيوي في سياسة روسيا الخارجية، وفي هذا الاطار قدم عدة مبادئ عرفت باسم " مبدأ بوتين " كان في مقدمتها التركيز على برامج الاصلاح الداخلي على حساب السياسة الخارجية.

وركز مبدأ بوتين على تطوير دور روسيا في عالم متعدد الاقطاب لا يخضع لهيمنة قوة عظمى واحدة والعمل على استعادة دور روسيا في اسيا والشرق الاوسط تدريجيا، وعدم السماح للغرب بتهميش الدور الروسي في العلاقات الدولية. كما أضاف بوتين عناصر جديدة للسياسة الخارجية الروسية اهمها انه اذا استمر توسع حلف الاطلنطي شرقا، فان روسيا سوف تسعى الى دعم الترابط بين دول الاتحاد السوفيتي السابق، لحماية منطقة دفاعها الاول.. وان روسيا تعارض نظام القطبية الاحادية ولكنها ستعمل مع الولايات المتحدة في عدة قضايا مثل محاربة الارهاب الدولي، والحد من التسلح وخاصة منع الانتشار النووي، والاهتمام بالبيئة الدولية، وقضايا حقوق الانسان وغيرها.. وان روسيا ستعمل على دعم بيئتها الامنية في الشرق عن طريق تقوية علاقاتها مع الصين والهند واليابان.

ومع احداث 11 ايلول سنة 2001 في الولايات المتحدة وما تلاها من تحول في الاستراتيجية العالمية للولايات المتحدة نحو الحرب على الارهاب، فقد حاول بوتين استثمار هذا التحول من خلال تقديم روسيا نفسها على انها شريك في محاربة الارهاب الدولي، بغية الحصول على دعم امريكي ضد الحركة الانفصالية الشيشاني والتخلص من نظام طالبان في افغانستان والحصول على دعم اقتصادي امريكي.

وعلى هذا النحو والتوجه قدمت روسيا نفسها بقوة في العلاقات الدولية، بغية تحقيق اهداف عالمية، واخذت تركز على اسلوبين في صياغة ستراتيجية سياستها الخارجية تارة بالاعتماد على النهج الدبلوماسي، وتارة اخرى تعتمد النهج العسكري في حسم عدد من القضايا منها امنية واخرى ستراتيجية، وهذا المزج بين الاسلوبين السياسي - الدبلوماسي، والعسكري - الامني، اثبتت حضورها على مسرح السياسة الدولية المعاصرة. فهناك العديد من المحطات المهمة في العلاقات الدولية المعاصرة التي سجلت فيها روسيا الحضور الدبلوماسي وكذلك العسكري ومنذ عام 2008 والتي تعتبر نقطة الانطلاق بالنسبة للسياسة

الخارجية الروسية نحو العالمية، بدأ من حربها على جورجيا، ومروراً بضمها شبه جزيرة القرم في عام 2013، ووصولاً الى تدخلاتها العسكرية في الازمة السورية وتحديداً خلال عام 2015، بالإضافة الى حضورها واشرافها على مؤتمرات دولية لحلحلة القضايا والملفات الامنية التي تتعلق بمنطقة الشرق الاوسط سواء تعلق الامر بالملف النووي الايراني او الازمة السورية، والتي جسدت حركتها ونشاطها الدبلوماسي على مستوى العلاقات الدولية.

مراحل تطور السياسة الخارجية الروسية

تعتمد جل الدول إلى تبني إستراتيجية خاصة، هناك بعض الدول تبني استراتيجية دائمة في حين هناك دول أخرى تبني إستراتيجية مؤقتة، كما تختلف كل استراتيجية من فترة إلى أخرى وككل الاستراتيجيات مرت الإستراتيجية الروسية بمراحل مختلفة، خاصة كون روسيا ولا تزال تتمتع بثقل سياسي على مستوى المشهد الدولي، كونها الوريث السياسي والعسكري للإتحاد السوفياتي، فقد كانت التوجهات السياسية بعد تفكك الاتحاد السوفياتي من أهم المعضلات التي واجهتها، في ظل المعطيات الجديدة المتمثلة في الإنهيار الشامل للإتحاد السوفياتي وفي ظل تشكل النظام الدولي، أحادي القطبية بزعماء الولايات المتحدة الأمريكية جعل عملية صياغة الاستراتيجية الروسية في إطارها الخارجي ذات تناقضات ما بين الواقع الجديد والواقع السابق.(شكلاط، 2016، ص 89).

2 . 7 . 1 : المرحلة الاولى: السياسة الخارجية الروسية مابعد الحرب الباردة

باننتقال روسيا إلى المرحلة السوفياتية صارت قطبا دوليا بامتياز، لا يتنازع في عالم متعدد الأقطاب على غرار ما جريته موسكو في القرون الفائتة، بل يتنازع هذه المرة مع قطب وحيد منافس تمثله الولايات المتحدة، في تلك المرحلة لم يكتف الروس بصناعة قوة عظمى اعتمادا على اثنية واحدة تضم السلافيين فحسب، بل سرعان ما توجه الشيوعيون إلى ضم أراض شاسعة وإثنيات وقوميات متعددة في رقع جغرافية مترامية، بالإضافة إلى ضم الدول والأقاليم تمكنت روسيا من نشر رسالتها الإيديولوجية دون غزو عسكري حتى جاء منتصف القرن العشرين كانت الشيوعية قد هيمنت على أكبر وأوسع مقاطعات العالم، من نهر الألب في وسط أوروبا إلى خليج كمتشكا وشنغهاي وكوريا، وفيتنام بل تمكنت الأحزاب الشيوعية في أوروبا الغربية من

الوصول إلى السلطة، وصارت الإيديولوجية الماركسية بين المفكرين الأوربيين هي المثال والمنهج بل وعبرت الشيوعية المحيط الأطلسي لتجتاح أمريكا اللاتينية. (عاطف، 2009، ص 19-20).

قد صيغ المذهب العسكري للإتحاد السوفياتي في ضوء الآراء الحزبية لنظرية الماركسية اللينينية والعقيدة السياسية للحزب الشيوعي السوفياتي كما كانت تنظر إلى الحرب بوصفها حالة حتمية بين النظامين الاجتماعيين الرأسمالي والإشتراكي، وأحد أشكال الصراع الطبقي التي تلجأ القوى الرأسمالية إلى إشعالها للحصول على السيطرة العالمية، تبنت الإستراتيجية السوفييتية في عقود الحرب الباردة مفهوما عالميا للأمن، توسع ليشمل الدول الأعضاء في حلف وارسو، والحلفاء والأصدقاء في المنطقة العربية وإفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية. (خيرة فراحتية ، 2018 ، ص 27).

تركزت الاستراتيجية السوفياتية في محاولة تثبيت النفوذ السوفياتي في دول منطقة شرق أوروبا من خلال عقد سلسلة من موائيق الدفاع المشترك، أو الأمن المتبادل بين الإتحاد السوفياتي وبين كل من هذه الدول، وقد أعطت هذه الموائيق السوفييت حق الوجود بل السيطرة العسكرية المباشرة على هذه الدول يضاف إلى ذلك حرص الإتحاد السوفياتي على إيجاد أنظمة شيوعية فيها، تدين بإيديولوجية وتحمل الولاء المطلق له، ويفسر ذلك سلسلة إجراءات التطهير التي نفذها ضد بعض القيادات الحاكمة في شرقي أوروبا لكي يكتبها بعيدا عن تحزبات المصالح الوطنية أو الولاءات القومية في محور واحد يواجه به النظام الرأسمالي العالمي بمركز ثقله المتمثل في قوة أمريكا، وقد رجع الإتحاد السوفياتي عن أسلوب التحالفات الثنائية فيما بعد مستبدلا إياها بحلف جماعي كبير هو حلف وارسو الذي أصبح أداة المواجهة السوفييتية الرئيسية ضد حلف شمال الأطلسي. (خيرة ، 2018 ، ص 27-28).

2 . 7 . 2 : المرحلة الثانية: السياسة الخارجية الروسية (1990-2000) اعادة هيكلة السياسة

الخارجية.

واجه الاتحاد السوفياتي العديد من الأزمات أدت في النهاية إلى إنهيار الكتلة الشرقية، وسقوط الإتحاد السوفياتي بعد فترة وجيزة ومن ثم فشل التجربة الشيوعية ككل، وتفككه إلى العديد من الدول التي كانت تكونه بقوميات مختلفة وأفكار مختلفة، ومن بين هذه الدول لم تكن سوى روسيا بالحجم الجغرافي والإقتصادي

والسكاني والعسكري الذي يمنحها المكانة الدولية وأصبحت هي محور استقطاب دول المنطقة في دور إقليمي قبلته بدلا من دورها العالمي. (وليد، 2000، ص 12-19).

من الناحية القانونية والسياسية ورثت روسيا مكانة الإتحاد السوفياتي من غير أن تملك أسباب القوة السوفياتية، كاملة ورغم أنها تمسك ببعض هذه القوة وخاصة على الصعيد الاستراتيجي العسكري ورغم أنها عانت في المدة التي تلت عام 1991م، لكنها لم تتنازل عن النهج الاستراتيجي للدولة الروسية ذات الدور المهم في السياسة الدولية. (خيرة، 2018، ص 28).

ركزت روسيا في هذه المرحلة التي قادها يلتسن ووزير خارجية كوزريف على الاتجاه غربا وإتباع سياسة الحد الأدنى من التفاعل مع باقي دول الكومنولث المستقلة إلا بما يحفظ مصالح روسيا الحيوية، كذلك ركزت على التحالف مع الولايات المتحدة الأمريكية من منطلق القبول بالمنظور الأمريكي للعلاقات الدولية وإعطاء تنازلات من طرف واحد. (خيرة، 2018، ص 28).

ومع نهاية سنة 1992 بدأت تظهر متغيرات جديدة دعت روسيا إلى التفكير في توجه جديد لسياستها الخارجية تمثلت في مواجهة يلتسن المعارضة سياسية قوية لتوجه الأوربي- الأطنطي من قبل الحزب الشيوعي والأحزاب القومية، حيث انعقدت هذه الأحزاب سياسة لأنها أضعفت مكانة روسيا وطالبت بإتباع سياسة جديدة قوامها إعادة هيمنة روسيا على الدول التي استقلت عن الإتحاد السوفياتي وحماية الروس المقيمين، في تلك الدول إضافة إلى ذلك فقد ظهرت متغيرات جديدة بإتباع سياسية جديدة قوامها إعادة هيمنة روسيا على الدول التي استقلت عن الإتحاد السوفياتي وحماية الروس المقيمين في تلك الدول إضافة إلى ذلك فقد ظهرت متغيرات جديدة في آسيا الوسطى دعت روسيا إلى إعادة التفكير في توجه سياستها وهي اندلاع التنافس التركي الإيراني على آسيا الوسطى مما هدد المصالح الروسية في تلك المنطقة، وتدقق الروس من الدول الخارج القريب. (ذيب، 2017، ص 2).

اذن نستطيع القول ان في هذه المرحلة اهتمت روسيا بالوسيلة الدبلوماسية والانفتاح نحو الغرب والولايات المتحدة الامريكية، على امل التوجه بالنهوض الاقتصادي وتجنب الصراعات الايديولوجية، من اجل تثبيت الدعائم لارتباط روسيا بالغرب وتمهيداً لخلق شبكة من التعاونات الاقتصادية والاستراتيجية والامنية تجسد نوعاً من الشراكة مع القوى الليبرالية الغربية. والتي غابت بسبب تداعيات الحرب الباردة في مراحل سابقة (عابدي، 2008، ص 110).

هكذا بدأ يلتسن في تفسير توجه السياسة الخارجية الروسية اعتباراً من 1994، وبدأ تبلور ملامح التوجه الأوراسي الجديد الذي يرتكز على أساس أن روسيا هي دولة أوراسية وعليها أن توجه سياستها الخارجية نحو العالم الأوراسي الذي تكمن فيه مصالحها، كما أن هذا العالم تتبع منه مصادر التهديد الأساسية للأمن القومي الروسي، وقد بدأ هذا التحول تدريجياً في عهد كوزريف، إذ بدأ يتحدث عن أهمية التكامل مع دول الكومنولث، وحماية الأقليات الروسية فيها اعتباراً من الانتخابات الرئاسية سنة 1993، وبدأت، روسيا في انتقاد سياسات الولايات المتحدة الأمريكية في مختلف أنحاء العالم ومن بينها القصف الجوي الأمريكي للعراق، كما بدأ الحديث عن دور روسي باعتبارها ضامن الأمن والإستقرار في دول الجوار القريب. (خيرة ، 2018، ص 29).

واهم ما امتازت بها هذه المرحلة من خصوصيات والتي جسدتها جملة من دوافع في السياسة الخارجية الروسية بما يلي (شمال، 2018، ص 404-4-5) :-

- مسالة نيل المقعد الدائم لروسيا في مجلس الامن في اطار العمل داخل اروقة الامم المتحدة.
- اشراك روسيا في مؤتمرات القمة السبعة الصناعية (G7)، دون الاخذ باعتبار تدهور الاوضاع الاقتصادية لروسيا ما بعد انهيار الاتحاد السوفيتي.
- من اجل اقامة علاقات متينة وتعزز شراكات مع القوى الغربية، على اعتبار ان لدى روسيا العديد من العلاقات التجارية التري تربطها مع تلك القوى.
- انتهاء فتر العداوة مع القوى المنضوية تحت لواء حلف الشمال الاطلسي الناتو خلال مرحلة الحرب الباردة.
- عدم التخلي عن الترسانة العسكرية - النووية لروسيا، ومن اجل التمسك بسياسة المفاوضة من موقع القوة مع القوى الغربية وفي مقدمتها الولايات المتحدة الامريكية.

2. 7 . 3 : السياسة الخارجية الروسية مرحلة 2000 – 2008 (مرحلة السعي لاعادة الدور والمكانة العالمية)

بعد سلسلة من الإنهيارات الإقتصادية بسبب التبعية للغرب، والتي أدت بيلتسن إلى تغيير رئيس الوزراء عدة مرات، وإستقر الأمر أخيرا عند فلاديمير بوتين، الذي أصبح رئيس للوزراء عام 1999، وبعدها رئيس للجمهورية بعد فوزه في الانتخابات الرئاسية في مارس 2000. (فرقا في، 2010، ص 112).

عقب توليه السلطة أعلن بوتين أن من أهم أولوياته هو العمل على إستعادة روسيا مكانتها في مصاف الدول الكبرى، وذلك في إطار نظام متعدد القوى يسمح بهامش من المناورة والتأثير للعديد من القوى إلى جانب الولايات المتحدة الأمريكية، ورأى أنه لا يمكن لروسيا استعادة مكانتها كقوى كبرى والحفاظ على استقلالية قررها الداخلي والخارجي، طالما ظلت معتمدة على ما تتلقاه من مساعدات خارجية، وأن روسيا دولة غنية بالموارد ويمكنها تجاوز أزمته الإقتصادية اعتمادا على مواردها الذاتية. (نورهان ، ص 83).

سعى فلاديمير بوتين إلى تعميق التوجه الأوراسي في سياسة روسيا الخارجية وقدم عدة مبادئ عرفت بمبدأ "بوتين" وفي مقدمة تلك المبادئ التركيز على برامج الإصلاح الداخلي، وركز على تطوير دور روسيا في عالم متعدد الأقطاب لا يخضع لهيمنة قوة عظمى واحدة، والعمل على استعادة دور روسيا في آسيا والشرق الأوسط، وعدم السماح للغرب بتهميش الدور الروسي في العلاقات الدولية، وقد أضاف بوتين ثلاث عناصر جديدة للسياسة الخارجية الروسية .

1- أنه إذ استمر حلف الأطلسي شرقا من روسيا فستسعى إلى دعم الترابط بين الدول الإتحاد السوفياتي سابقا لحماية منطقة دفاعها الأول.

2- إن روسيا تعارض نظام القطبية الأحادية، ولكنه استعمل مع الولايات المتحدة الأمريكية في عدة قضايا مثل الحد من التسلح وحقوق الإنسان وغيرها، فإن روسيا تعمل على دعم بيئتها الأمنية في الشرق عن طريق تقوية علاقاتها مع الصين والهند واليابان. (خيرة ، 2018 ، ص 30-31).

لكن أحداث 11 سبتمبر 2001 في الولايات المتحدة وما تلاها من تحول في الإستراتيجية العالمية للولايات المتحدة الأمريكية نحو الحرب الهجومية، وإعتبار الإرهاب بمثابة قضية المحورية للسياسة الأمريكية، أدت إلى حدوث تحول في السياسة الخارجية الروسية نحو التوجه الأورو- أطلسي فقد سعى بوتين إلى إستثمار التحول الأمريكي بإحداث تحول مماثل نحو دعم الإستراتيجية الأمريكية الجديدة من خلال تقديم روسيا عل

أنها شريك في محاربة الإرهاب، إن أحداث 11 سبتمبر 2001م، جعلت توجه روسيا نحو الغرب يسير في اتجاه الاندماج في الفضاء الغربي، كما تحدث بوتين مشيرا إلى أن جذور روسيا ترتد إلى القيم الغربية.(خيرة ، 2018، ص31).

حاول بوتين عام 2006 المزج بين التوجهين الأورو-أطلسي والأوراسي الجديد في سياسة جديدة تحقق لروسيا المكانة الدولية دون أن يعني ذلك الصدام مع الولايات المتحدة أو أوروبا. ويمكن إبراز أهم ملامح هذا التوجه الجديد فيما يلي :

1- العمل على بناء القوة الذاتية الروسية بشكل مستقل عن النماذج القريبة الجاهزة، والنظر إلى تلك القوة وحدها على أنها المحدد لوضع روسيا في السياسة الدولية.

2- انتقد الرئيس بوتين السياسة الأمريكية الأحادية والانفرادية، وطالب بإنشاء نظام عالمي ديمقراطي، أي متعدد الأقطاب وبتقوية دور القانون الدولي. وكان ذلك بمثابة اعلان رسمي لبداية عهد الخروج عن النهج الغربي في التعامل مع القضايا والملفات العالمية.

3- سعت روسيا إلى بناء مشاركة استراتيجية مؤسسية مع الصين في إطار منظمة شنغهاي للتعاون، والتي تضم دول آسيا الوسطى عدا تركمانستان، وتشمل ذلك مشاركة نفطية لمد خطوط نقل النفط الروسي مع سيبيريا إلى الصين.

4- كما عملت روسيا على إعادة تقوية علاقاتها مع دول كومونولث (رابطة دول مستقلة)، من خلال عدة أساليب بما فيها الدبلوماسية العسكرية، خاصة لدى الدول ذات التوجه الأمريكي في سياستها الخارجية، وعلى الأخص جورجيا (محمد ، 2007، ص1-4).

كل هذه النقاط تحمل في طياتها العديد من الدلالات حيث أصبحت السياسة الخارجية في عهد بوتين أكثر تحديدا ووضحا من خلال تراجع الكرملين عن فكرة الاندماج في المجتمع الأوربي على الأقل في المدى القريب - التحرر من العقدة الهويةائية المتمثلة في الإنتماء الروسي هل يكون ضمن الحضارة الغربية أم الشرقية، اللجوء إلى سياسة أكثر واقعية تحاول إحداث توازن بين الطموحات الكبيرة لروسيا وإمكاناتها التي تبقى محدودة، محاولة الابتعاد عن فكرة المواجهة مع الغرب وتكثيف الجهود الرامية إلى ضمان دور مهيم لروسيا على خارجها القريب.(صابر، 2012، ص13).

4.7.2: السياسة الخارجية الروسية مرحلة 2008-2020 (مرحلة الانغماس في السياسة

الدولية) وتثبيت المكانة الدولية.

في هذه المرحلة بدأت جلياً، ان روسيا اخذت تحذو سياسات انفرادية، والتي جسدت مرحلة المغامرة الدولية في سبيل اعادة الدور والمكانة العالمية لروسيا عملياً، باتجاه انهاء الانفرادية والاحادية القطبية الامريكية، والعمل على تثبيت دعائم لترتيبات دولية جديدة تكون عنوانها الابرز هو التوازن الدولية من خلال اقامة نظام دولي متعدد الاقطاب. وان تكون لروسيا سياسة خارجية قوية ونشطة ومستقلة حيال القضايا الدولية. ومن اجل كل ذلك خطت روسيا جملة من الخطوات التي جسدت المبادي الاساسية للسياسة الخارجية الروسية الجديدة والتي يمكن ابرازها بما يلي: -

- تقوية وتعزيز الاقتصاد الروسي والقطاع العسكري من خلال عمليات اصلاحية وتحسين القطاعات العسكرية وفق ستراتيجية بعيدة المدى .
- تشديد المواقف حيال السياسات الانفرادية الغربية وتحديداً حيال سياسات الولايات المتحدة الامريكية، والعمل على تثبيت الدعائم التي تؤهل روسيا لتصبح مركزاً قوياً في السياسة الدولية. واعادة حضورها في اسيا ومنطقة الشرق الاوسط وكذلك في افريقيا.
- الدفاع عن حقوق روسيا في الحصول على اهدافها الاستراتيجية في المحافل الدولية، وانها لن تقبل بدور التابع والمضيء خلف القوى الغربية حيال القضايا العالمية.
- العمل على اعادة وتشكيل التحالفات الدولية في مختلف المجالات العسكرية والاقتصادية - التجارية، مع الدول التي استقلت سابقاً عن الاتحاد السوفيتي. وكذلك مع القوى الاسيوية خاصة مع الصين والهند .
- وكذلك الولوج والدخول في علاقات تعاونية مع الدول التي كانت حليفة في السابق مع الاتحاد السوفيتي وتحديداً في الشرق الاوسط. على سبيل المثال التقارب مع ايران واعادة العلاقات العسكرية مع ليبيا وسوريا.

اما ما يتعلق بالجوانب العملية خلال هذه المرحلة من السياسة الخارجية الروسية، فيمكن تلمس العديد من النشاطات التي جسدت الغموس المكثف في السياسة العالمية من اجل تثبيت دعائم ستراتيجية اعادة

الدور والمكانة العالمية لروسيا في اطار العلاقات الدولية، فالبروز الاول لروسيا باتجاه احياء دورها كقطب دولي تجسدت في احتكامها للقوة العسكرية وحربها عام 2008 على جورجيا، حيث بدأت واضحا سعيها نحو ابراز قوتها كقطب دولي من جديد، بعد ان ظلت تتموقع بعيداً عن القضايا العالمية، والتي ظلت ساكنة حيال توسعات الناتو شرقاً. وخاصة وان هذه النشاطات الدولية الجديدة لروسيا قد اتت بعد اقامة مشروع الدرع الصاروخي للحلف في بولندا. (شمال ، 2018، ص 455). ، في الحقيقة شكلت احداث الحرب على جورجيا المحطة الاولى للسياسة الخارجية الروسية لمرحلة ما بعد تفكك الاتحاد السوفيتي فيما يتعلق باحتكامها على العامل العسكري لحسم قضية دولية. فبعد اجبار القوات الجورجية بالتراجع، اعترفت روسيا رسمياً بابغازيا واوسيتيا كدولتين جديدتين. وبهذا فقد دخلت روسيا ومن خلال اسلوبها العسكري مرحلة جديدة في السياسة الدولية(دوكين، 2017، ص 275)، على ذلك شكلت احداث الحرب على جورجيا مرحلة اعادة الصراع ما بين روسيا والقوى الغربية والناتو، وكشفت هذه الازمة عن ان روسيا عملياً تجري وراء اعادة الدور والمكانة العالمية، حيث بدأت ان موقف روسيا متشددة وعنيفة جداً حيال المسائل التي تشكل تهديداً على استراتيجيتها امنها القومي، ولم تعطي أي فرصة لتسوية الازمة من خلال مجلس الامن، او اصدار قرار من قبل المجلس فيما يخص ادانتها جراء نشاطها العسكري(شمال ، 2018، ص 456). لم تكن موقف روسيا حيال الازمة الجورجية سوى المحطة الاولى من سلسلة محطات ومراحل التي ابدت من خلالها مواقف متشددة ومعارضة للنهج الامريكي في التعامل مع لاقضايا العالمية، بل امتدت الى ابعد من ذلك، وخاصة خلال الازمة السورية ومنذ عام 2011، اخذت روسيا موقفاً مغايراً في النهج والعمل حيال تلك الازمة فجانب مواقفها القانونية والدبلوماسية في مجلس الامن، اقدمت على الدخول عسكرياً في سوريا عام 2015، وبدون تفويض دولي ووقفت بجانب النظام السوري، مما رجحت كفة النظام وقلبت موازين القوى لصالح الاسد) ، BBC (2018) ، مثلت الازمة السورية الامتحان الحقيقي لقدرة روسيا على النهوض في السياسة الدولية من جديد واحتلالها موقع القطب في القضايا العالمية، فاخذت تتنافس القوى الغربية والولايات المتحدة الامريكية معاً .

ثالثا / الانفرادية في الاستراتيجية الجديدة للصين

"الإحياء الحضاري: أي مستقبل للصين في النظام الدولي؟". تركز هذه الورقة على المحددات الثقافية والتنمية والمجتمعية شديدة الخصوصية للصين، والتي تجعل لرؤيتها تمايزها وتفردا. ان الصين الحالية تعتمد في بناء رؤيتها وسياستها الخارجية وتعاملها مع العالم، على مجموعة من الآليات الحضارية التي قامت بإحيائها وتجديدها، وعلى المقومات السياسية والاقتصادية والمجتمعية التي تطورت خلال العقود الأربعة الماضية. ويمكن في هذا الإطار أربعة سيناريوهات لدور الصين الدولي في الأمد المنظور، الأول: أن تتحول إلى قوة عالمية عظمى، متوقعا أن تظل الصين القوة الثانية في العالم على الأقل حتى منتصف القرن الحادي والعشرين؛ الثاني: أن تتحول الصين إلى قوة إقليمية، ولكن غير مهيمنة؛ الثالث: استمرار الصين كقوة صاعدة في إطار حدودها الوطنية، ويرى أن هذا السيناريو يواجه العديد من المعضلات؛ الرابع: أن لا تسعى الصين للهيمنة الإقليمية أو العالمية وإنما تركز نموذجا إقليميا يعيد إحياء مفهوم الحضارة الصينية في سلوكها التاريخي، والمتمثل في بناء الصين القوية ووحدة الصين وترابها الوطني والتعامل مع العالم الخارجي من خلال التعاون الاقتصادي.

من جانب اخر تركز الاستراتيجية الجديدة للصين على أولوية الاقتصاد: انعكاسات تحول نمط التنمية على آفاق الصعود الصيني"، السؤال الذي يثير في هذا الإطار مدى كفاية نمط التنمية الذي تنتهجه الصين لمواصلة تقدمها، وصعودها على المسرح الدولي. هنا بإمكاننا الإشارة إلى عبارة قالها الزعيم الصيني الراحل دنغ شياو بينغ خلال جولته التفقدية لجنوبي الصين عام 1992، فقد قال السيد دنغ: "ربما نحتاج إلى ثلاثين سنة أخرى لتشكيل مجموعة كاملة من النظم الأكثر نضوجا والأكثر رسوخا في المجالات المختلفة". الموعد الذي أشار إليه السيد دنغ، مهندس سياسة الإصلاح والانفتاح الصينية، يصادف احتفال الصين عام 2021 بذكرى مرور مائة سنة على تأسيس الحزب الشيوعي الصيني، وهو ذات التاريخ الذي تستهدف فيه القيادة الصينية تحقيق "مجتمع الحياة الرغيدة على نحو شامل" (شياو كانغ بالصينية). وفي النصف الثاني من عام 2017، يعقد الحزب الشيوعي الصيني مؤتمره الوطني التاسع عشر، الذي يضع سياسات الصين لمدة خمس سنوات تمتد حتى عام 2022، في ظل تغيرات داخلية وإقليمية ودولية عميقة، ووسط تكهنات متباينة بمستقبل التنمية الصينية بعد تراجع معدل النمو السنوي للاقتصاد الصيني في السنوات الأخيرة.

على أنه من الأهمية بمكان، قبل تحليل "التنمية الصينية" وتجلياتها في سياساتها الداخلية والإقليمية والدولية، التوقف عند الخلفية الفلسفية والثقافية للصين والتي مازالت محددًا هامًا لرؤية الصين لنفسها وللعالم. وهنا يمكن تحديد خصائص التنمية الصينية، بأنها، أولا: مركزية القيادة، ما يجعل الحكومة اللاعب الرئيسي

في عملية التنمية الاقتصادية وتحديد اتجاهها وأهدافها، من خلال المؤسسات المملوكة للدولة أو من خلال المؤسسات ذات العلاقة الوثيقة مع الدولة؛ ثانياً: الانفتاح على الخارج والتعلم من الأنماط الأخرى، حيث أتاح الانفتاح للصين الحصول على التكنولوجيا المتقدمة وأسلوب الإدارة الحديث والمعارف المتقدمة ورأس المال الأجنبي؛ ثالثاً: الاستدامة والقدرة على التكيف، فالصين تنتهج في تنميتها أسلوب "التجربة والتقويم، ثم إعادة التجربة وإعادة التقويم"، استناداً إلى مقولة دنغ شياو بينغ "عبور النهر بتحسس الأحجار"، رابعاً: العائد الديموغرافي، وإن كان دور العائد الديموغرافي بدأ يتراجع في السنوات الأخيرة مع ارتفاع الأجور؛ خامساً: الاستقرار السياسي والتدرج في الإصلاح، فقد حققت الصين إنجازات اقتصادية واجتماعية هائلة لم تسبقها أو ترافقها تنمية سياسية بنفس السرعة.

على ذلك تبدو أن اتجاه الصين إلى ما يسمى بـ"الوضع الطبيعي الجديد"، ضرورة اقتضتها ظروف داخلية وتطورات خارجية، تمثلت في انخفاض الطلب المحلي وإصلاح قطاع العقارات والإصلاحات الهيكلية العميقة، فضلاً عن تراجع الطلب الخارجي لاقتصاد ظل يعتمد لفترة طويلة على التصدير. كما يستوجب استعراض مسببات وتداعيات تباطؤ معدل نمو الاقتصاد الصيني، مبيّنة أن تراجع معدل النمو في السنوات الأخيرة ليس استثناءً، وإنما الاستثناء هو استمرار التراجع لفترة طويلة نسبياً في السنوات السبع الأخيرة، وأن صعود وهبوط معدل نمو الاقتصاد الصيني خلال تلك الفترة تأثر بالتطورات الداخلية والإقليمية والعالمية. كما أن التشكيك الغربي في بيانات الاقتصاد الصيني، جزء من إطار أوسع للتشكيك الغربي في مقاصد الصين وسياساتها. بدأ ذلك بنظرية "التهديد الصيني"، ثم نظرية "انهيار الصين"، التي ظهرت للمرة الأولى بعد عام 1989، مبينة أن الأسباب الرئيسية لتباطؤ نمو الاقتصاد الصيني ليست أسباباً هيكلية تخص الاقتصاد الصيني بقدر ما هي أسباب خارجية.

وحول انعكاسات تنمية الصين في سياستها الخارجية، يمكن تلمس الملامح الرئيسية للسياسة الخارجية الصينية بأنها: البراغماتية، عدم التدخل في الشؤون الداخلية للدول الأخرى، وتفاذي الاصطدام مع واشنطن. وعليه يجب الإشارة إلى أن دور الصين في بنية النظام الاقتصادي والسياسي العالمي يرتبط بتوسع إطار مصالحها الاستراتيجية، وبخبرتها التاريخية وثقافتها ورؤيتها للتطورات الجارية في مناطق العالم المختلفة. كما أن الصين معنية بتعديل قواعد النظام الاقتصادي الدولي أكثر من اهتمامها بتعديل الهيكل السياسي الدولي. وإذا كان الخطاب السياسي الصيني يدعو إلى إقامة نظام دولي أكثر عدالة وإنصافاً ومتعدد الأقطاب، فإن الصين ترى نفسها "مُصلحة" لهيكل النظام الدولي، وتعتقد أن النظام الدولي الحالي لا يمكن تغييره ولا يمكن أن يبقى على حاله أيضاً.

ستراتيجية "التوسع المتدرج: السيرورة الجدلية لتطوير الصين أدوات سياستها الخارجية"، وهنا تبرز أدوات السياسة الخارجية الصينية، وهي: الأدوات الدبلوماسية، الأدوات الاقتصادية، الأدوات المعرفية، والأدوات العسكرية. ارتباطا بذلك فإن التدرج يعد مبدأ أساسيا طبع مسار أدوات السياسة الخارجية الصينية وسيارات تطورها منذ انهيار النظام ثنائي القطبية، وأن الأدوات الاقتصادية تطورت في السياسة الخارجية الصينية داخليا وخارجيا، كما عرفت الأدوات العسكرية تطورا مطردا. وهنا تبرز أربعة سيناريوهات لما يمكن ان نسميه بنموذج التنمية الصيني، الأول: العودة إلى نموذج تنمية مبني على أفكار التيار المحافظ، بالتطوير العلمي لآليات الاقتصاد الموجه؛ الثاني: تسريع عملية الاندماج في السوق تبعا لأفكار تيار اليمين الإصلاحية وتحرير الأسعار وجعل السوق يحدد قيمة العملة الوطنية، الثالث: تأسيس منظومة تنمية تأخذ من الاشتراكية المثالية والحركة التعاونية لروبرت أوين نموذجا؛ الرابع: الاستمرار على أفكار دنغ شياو بينغ بنهج اقتصاد السوق الاشتراكي دون رفع تحكم الدولة في العملة.

ستراتيجية "الانخراط الحذر: هل تقيد سياسة التوازن دور الصين في الشرق الأوسط؟" وهنا أيضاً تبرز عدة محددات للسياسة الخارجية الصينية المعاصرة ، أولا: غلبة النزعة البراغماتية على حساب النزعة الأيديولوجية؛ ثانيا: غلبة نزعة الحوار على نزعة المواجهة على المستوى الدولي؛ ثالثا: أولوية النمو الاقتصادي وانعكاسه على النمو المتواصل في النفقات الدفاعية؛ رابعا: التأيي في إدارة العلاقات الخارجية وعدم التسرع في السعي لتحقيق موقع متقدم في النظام الدولي. ووفقا لتلك المحددات نرى أن السيناريو الأرجح للسياسة الصينية المستقبلية في الشرق الأوسط، هو اعتماد سياسة التوازن بين المتخاصمين الإقليميين، واعتماد وجود عسكري "خدماتي" في المنطقة، وبقاء دور نسبي في تسوية المنازعات في المنطقة خلال السنوات الخمس المقبلة على الأقل، وضمان علاقات جيدة مع كل دول المنطقة لضمان عبور مشروع "الحزام والطريق" المناطق المقرر له عبورها لربط أسواق الصين بأوروبا عبر الشرق الأوسط.

هل العالم مقبل على ما يمكن تسمتها (بالقيادة المؤجلة): استراتيجية الصين لتأسيس ركائز التعددية الدولية". وهنا يتحدد توجهات السياسة الخارجية الصينية إلى شقين: توجهاتها تجاه دول الدائرة التقليدية، وتوجهاتها تجاه دول وأقاليم آخذة في الصعود على سلم الأولويات الصينية. إلى أن الصين تدير علاقات تعاونية ممتدة، تتمتع فيها بمواقف قوة تزيد من مقومات قوتها الاقتصادية التي حققتها خلال مسيرة تنميتها، وتؤهلها للوصول لمكانة "قوة كبرى" ولكنها لم تصل بعد لمكانة القطب الدولي المكافئ للولايات المتحدة الأمريكية.

اثر وتداعيات السياسات الانفرادية على العلاقات الدولية